BA002391
ICAS
JAKARTA
LIBRARY

نظرة سريعة

الى

حياة نبيّ الاسلام (ص)

المؤلف:

لجنة التحرير في طريق الحق

اسـم الكتاب ..... نظرة سريعة الىٰ حياة نبيّ الاسـلام صلى الله عليه وآله
المؤلف ..... لجنة التحرير في طريق الحق
المتـرجم ..... الشيخ محمّدعلي التسـخيري
الناشـر ..... مؤسـسة في طريق الحـق
عدد النسـخ ٣٠٠٠
المطبعة ..... سلمان الفارسـي
الطبعة ..... الثانية
تاريخ النشـر ..... ١٤٢٥ هـ ق ـ ٢٠٠٤ م
ISBN: ٩٦٤-٦٤٢٥-٦٩-٠

السـعر ٧٠٠ تومان

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدّمة

من جملة النشرات التي صدرت عن مؤسسة « في طريق الحق » دورتان هما الثالثة والرابعة وتضمّان شرحاً مختصراً لحياة نبيّ الإسلام (ﷺ)، ويتخلّل في الاثناء الجوابُ على الشبهات والتخرصات التي اطلقها اعداء الإسلام، وقد طُبعت هاتان الدورتان باللغة الفارسية عدّة مرات وتم توزيعهما بين الشباب، ثم تُرجمتا الى اللغة العربية وأُرسلتا الى الشباب المسلم خارج ايران عن طريق المراسلة، وقد لقيتا اقبالاً منقطع النظير.

وهذا الكتاب هو مجموع تلك الاعداد العشرين قد نُظمت وطُبعت بهذا الشكل، كما نشرت المجموعة نفسها باللغة الفارسية تحت عنوان « نگرشي كوتاه به زندگي پيامبر اسلام ﷺ ». نسأل اللّه تعالى، ان يوفقنا لخدمة الإسلام وان يدعم الثورة الإسلامية في ايران التي انطلقت بقيادة الإمام الخميني لتشمل العالم الإسلامي فيتقارب المسلمون، ويتكاتفون لينهضوا في سبيل نشر الحقائق الإسلامية وتطبيق القيم الدينية فيحلّق الإنسان في الآفاق الرفيعة للاسلام.

لجنة التحرير
مؤسسة في طريق الحق

العالم و العرب
قبل ظهور الإسلام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

كان الناس في كل أنحاء العالم قبل أن تشعّ أنوار الرّسالة الإسلامية يعيشون وضعاً مؤسفاً للغاية من الناحية العقائدية و الفكرية، وفي شؤونهم الفردية والاجتماعية.

ولئن كانت مناطق العالم تتفاوت في بعض الأُمور إلّا أن القاسم المشترك بين أفراد البشرية أينما وجدوا آنذاك كان متمثلاً في الانحراف الفكري، التقاليد الاجتماعية البالية، سيطرة الخرافات والأساطير علىٰ العقول والاذهان، والمشاكل الاجتماعيّة والاخلاقيّة.

• • •

فقبل ظهور الإسلام كان اليهود قد غيّروا الدين الذي جاء به النبيّ موسىٰ (عليه السلام) واظهروا أصوله بصورة جامدة متحجّرة وافرغوها من محتواها الحقيقي واشاعوا الرّوح المادية في حياة الناس.

والمؤسف أن المسيحيّة التي كان النبيّ عيسىٰ (عليه السلام) قد حمل رسالتها من قبل اللّه تعالىٰ الىٰ الناس لتهذيب الأخلاق وتطهير النفوس وتخليصها من السيطرة المادية البشعة ... هذا الدين هو الآخر وقع تحت تأثير رجال الكنيسة فغيّروا من روحه واستغلّوه لمنافعهم الشخصيّة وتحوّل الىٰ سيف مصلت علىٰ رقاب الناس، اضف الىٰ ذلك أن المسيحية بطبيعتها لم تكن

حاوية للقوانين الكاملة في تقرير الانظمة الاجتماعية المتعددّة، وهكـذا كانت النتيجة أن بقيت عاجزة عن قيادة البشريّة المعذبة ونجاتها .

ومن هنا نعلم كيف كان الناس في شتّىٰ مناطقهم ـ المتدّين منهم وغير المتدّين ـ شركاء في التقاليد المـغلوطة وسـيطرة الخـرافـات والاسـاطير والغرق في الاوهام والمشاكل المتنوّعة .

فشعلة الفساد تستعر ... الخرافات والأوهام تتحكّم في مصير النـاس باسم العقيدة والمذهب .

الشرك في العبادة، والتثليث في الالوهيّة حمل الاذعان به علىٰ الناس تحميلاً، الكثيرون توجّهوا لعبادة الاصنام، النار، البقر والنجوم . والأنكىٰ أو الأمر من هذه وتلك، عبادة الشهوة والفروج والتي كان لها رواج حينذاك . إن هذا الفساد المستشري والانحطاط الاخلاقي والتدهور المعنوي الذي كان ناشراً ظلاله السوداء علىٰ كل بقعة من بقاع الارض كان سبباً وموجباً للتخبّط والانحراف في المجتمع البشري، ولإراقة الدماء والظلم والعدوان وفي الواقع كانت البشريّة علىٰ مشارف الهلاك والسقوط الابدي .

الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام

كان للجزيرة العربية ـ التي سميت بالارض المحروقة ـ وضع عجيب فالصحاري الجرداء القاحلة والوديان الجافّة والتلال الصخريّة ، هي كل ما تشكلّه هذه المنطقة التي كانت قليلة الماء وغير ذات زرع، حشائشها كانت عبارة عن الاشواك والحسك، وبيوتها كانت اكواخاً ضيّقة يسكنها موجود يسمىٰ بـ(الإنسان) يعيش في اغلب الاحيان علىٰ التمر والماء الآسن ليسدّ رمقه .

الحروب والصراع القبلي كانت هي اساس النظام الاجتماعي لسكـان شبه الجزيرة العربية، ولم تعد مدينة مكّة المكرّمة سوىٰ معبد للاصنام،

ولم يكن اغلب ساكنيها غير مجموعة من أهل المنافع وآكلي الرّبا الذين يمتصّون دماء الآخرين لأجل الدرهم والدينار.

***

الحياة القبلية لسكان البادية العربية، واتخاذ الكثير من حياة الرعي بالاضافة للاقطاع البغيض كل هذا كان مصدر عذاب شديد لهؤلاء السكان، الحالة الاقتصادية المتردية الناشئة من استغلال رؤساء القبائل والمرابين قد محىٰ مفهوم الحياة الإنسانية وحوّل جوّ السعادة الاجتماعية الىٰ جوّ مظلم مشحون بالمآسي والآلام. لقد كانت مجموعة الأثرياء المرابين التي اتخذت من التجارة عملاً ومهنة في مكّة المكرّمة قد بدأت بجمع الاموال والثروات الطائلة من طرق غير مشروعة، واخذت باستغلال الطبقات الضعيفة الفقيرة استغلالاً بشعاً وكان هذا في الواقع معمّقاً للتفاوت الظالم بين طبقات المجتمع الواحد.

وكانت القبائل العربية بسبب الجهل الذي كانت تعيشه آنذاك، قد اتخذت من الاصنام والمظاهر الطبيعيّة معبودات لها وحوّلت الكعبة الشريفة الىٰ بيت للاصنام [1] لقد كانت أي عادة من العادات الخاطئة أو أي تقليد من تقاليدهم وسنّتهم البالية آنذاك، كافياً لوحده أن يحطم ويمحي عظمة أي أُمّة ؛ ان الوضع الذي أوجدته الانحرافات اللاانسانية في المجتمع العربي قبل الإسلام كان وضعاً ثمرته الفساد والتردّي وغذاؤه لحم الإنسان، وشعاره الخوف والقلق، ومنطقه ودليله السيف.

وكان العرب يحسبون ويتخيّلون أن الافضلية والرفعة هي للعربي والعربي فقط دون غيره من الناس، وإن للدم العربي والعنصر ميزة تجعله أعلىٰ شأناً من الآخرين وهكذا ترىٰ أن جذور القوميّة والعنصرية المتفشية

---

١ - شرح نهج البلاغة للخوئي ج ٢ ص ١٧٣، التاريخ الجامع للاديان ص ٤٧.

في عصرنا هذا ترجع الىٰ تلك الجاهلية الاولىٰ التي شكلتها بلونها الخاص، وحتىٰ بين العرب انفسهم ؛ كان التفاضل موجوداً علىٰ أسس خاوية موهومة كزيادة الولد وكثرة المال وبها كانت القبيلة تفتخر علىٰ اختها، والإنسان علىٰ أخيه .

كانوا يعدّون القتل وسفك الدماء شجاعة وبطولة، وكان السطو والاغارة الوحشيّة والعدوان، والتجاوز والظلم، بعضاً من مفاخرهم، وكانت غيرتهم المفرطة هي في دفن بناتهم البريئات وهن علىٰ قيد الحياة، وكانوا ـ كما يحدّثنا القرآن الكريم عنهم ـ: ﴿ **وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [١] ويظل منتهزاً أي فرصة ليدسها في التراب حيّة لأنه بهذا العمل ـ حسب تفكيره الأرعن ـ يغسل العار عن نفسه ويجّنب نفسه وعشيرته فضيحة وعار سببها إن أغارت عليهم القبائل في المستقبل، وهذا هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدىٰ خطبه المذكورة في الكتاب الخالد نهج البلاغة يقول واصفاً الحياة الاجتماعيّة للعرب :

« وانتم معشر العرب علىٰ شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون ارحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة » [٢] .

وهكذا نجد ان سكان شبه الجزيرة العربية كانوا يعيشون وسط لجّة من الفساد والتردّي، وقد تحوّلوا بسبب الجهل واللامبالاة الىٰ مجموعة وحشيّة، طالبة للهوىٰ قد أخذ منها الفراغ مأخذه فعاشوا الضياع وابتلوا بالخرافات والأساطير، شأنهم في ذلك شأن أكثر سكان العالم من معاصريهم [٣] .

---

١ ـ سورة النحل : ٥٨ .

٢ ـ نهج البلاغة : شرح محمد عبده : ص ٧٤ ط بيروت .

٣ ـ نهج البلاغة : شرح محمد عبده، ص ٧٤ ط بيروت .

ومن البديهي أنه يلزم لاصلاح وبناء مثل هذا المجتمع الخاوي والمتردّي، انقلاب اساسي وشامل لكل الجوانب الحياتية للانسان، كما ان من اللازم والضروري أن يكون قائد هذه النهضة الشاملة رجلاً مؤيّداً بقوىٰ السماء ومنتخباً من قبل اللّه تعالىٰ لكي يبقىٰ بعيداً عن احتمال جرّ المنافع الشخصية والتعدّي علىٰ حقوق الآخرين، والقضاء علىٰ جميع مخالفيه الشخصيين بحجّة « التصفية » .

نعم لابدّ ان يكون هذا القائد رجلاً إلهياً يعمل في سبيل اللّه وحده ويعمل لأجل رفاه وسلام وتقدّم المجتمع البشري كلّه، لأنه وبدون شك اذا كان القائد لا يتمتّع بالرّوح المعنويّة والاخلاق العالية ولم يكن للملكات والصفات الانسانية الفاضلة وجود في شخصيّته، مثل هذا القائد لا ولن يتمكن من اصلاح مجتمع أو نجاة أُمة .

إن القادة المؤيّدين بنصر السماء هم وحدهم فقط القادرون علىٰ إيجاد التغيير الجذري العميق البنّاء في الشؤون الفرديّة والاجتماعيّة للبشريّة .

والآن لابدّ أن ننظر الىٰ شخصيّة القائد الجديد لعمليّة الانقلاب العالمي، وما هي التغييرات التي أحدثها في هذا العالم .

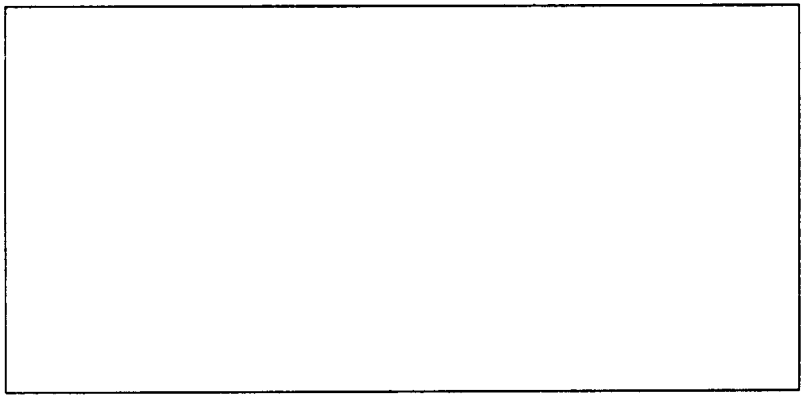

النبي محمد (ص)
ولادته و طفولته

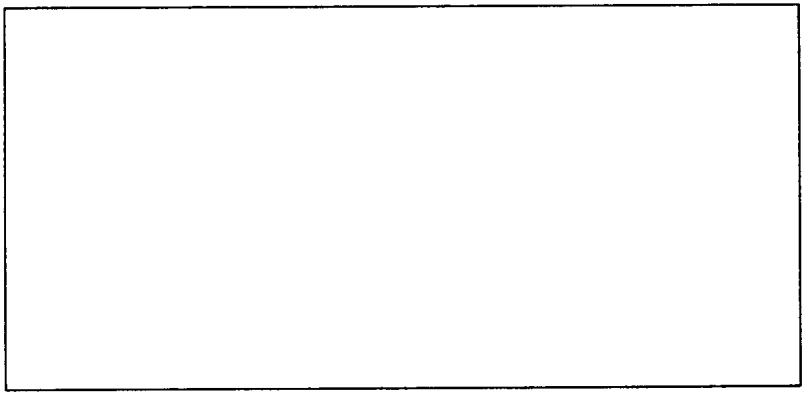

ولادته و طفولته

... كانت مدينة مكّة المكرّمة غارقة في ظلام وسكون ثقيلين ولا يطالع الناظر اليها أية مظاهر للحيويّة والنشاط، اللهم إلّا ذلك القمر الدؤوب الذي بدأ كعادته كل يوم يتحرّر من خلف تلك الجبال الجرداء المسودة، ويرتفع في الآفاق رويداً رويداً لينشر أشعّته الفضيّة الهادئة على تلك البيوت البسيطة الغريبة عن تعقيدات المدنيّة وتجمّلاتها .

وبدأ الليل يتجاوز منتصفه قليلاً، نعمّ أرض الحجاز القاحلة نسيم لطيف عذب جعلته يخلد الى الراحة وينعم بالهدوء، والنجوم هي الأخرى بدأت في تلك اللحظات الحلوة تضفي على ذلك المشهد الطبيعي صفاء مّا، وتعكس بلألأئها على الأرض الطيبة جاذبية وسحراً وتطالع ساكني مكّة المكرّمة بابتسامة عذبة جميلة ... وحان وقت السحر وطفقت طيور السحر الساحرة تعزف ألحانها البريئة التي تحيي القلوب بنغماتها الموسيقية وكأنها تناجي الحبيب في ذلك الجو الفردوسي العابق، ومع أن آفاق مكة كانت بانتظار فجرها اللاحب الحبيب إلّا أن سكوتاً مبهماً محيراً لم يزل متحكماً في هذه المدينة .

الجميع كانوا في نومهم العميق إلّا آمنة بنت وهب (سلام اللّه عليها)، فقد كانت يقظة وبدأت تحسّ بالألم الذي كانت تنتظره ... الألم الذي أخذ يشتدّ ويشتدّ ... وفجأة رأت في غرفتها عدّة نساء تعلوهنّ المهابة ويجللهنّ النّور، وتفوح منهن روائح زكية لم تعهدها آمنة (عليها السلام) من قبل، وتحيّرت

آمنة (عليها السلام) في شأن هؤلاء النسوة المجهولات وكيف استطعن الدخول من الباب الموصدة[١]!...

ولم يطل تحيرها إذ جاء الىٰ الدنيا وليدها الحبيب، وبهذا قرّت عينها بعد شهور من الانتظار بوليدها الذي أطلّ علىٰ الدنيا في سحر اليوم السابع عشر من ربيع الأول[٢] وفرح الجميع بهذا المولود المبارك الذي أنارت طلعته بيت آمنة (عليها السلام) المظلم، والتي افتقدت في تلك الحالة زوجها الذي لم تمهله يد الموت ليتسنىٰ له رؤية الوليد الحبيب، إذ اختطفته حين رجوعه من الشام، فتوفي في يثرب ودفن هناك، حيث ترك آمنة (عليها السلام) وحيدة مع جنينها الذي كان يؤنس وحشتها القاتلة[٣].

محمّد صلى الله عليه وآله الوليد العجيب

ولد محمّد صلى الله عليه وآله وصاحبت ولادته حوادث مختلفة سواء في السماء أو في الأرض، وخاصة في الشرق الذي كان مهد حضارة ذلك العصر، وجاءت هذه الحوادث وكأنها تريد ان تؤدّي دور وكالات الأنباء السريعة في عصرنا هذا لتنبيء عن وقوع حادث خطير.

ولأنه كان مقدراً لهذا الوليد الجديد أن يحطّم طواغيت عصره ويقضي علىٰ كل تلك العادات والسنن البالية ليقيم علىٰ انقاضها أُسس التقدم والرقي البشري ... لهذا كله كان لابدّ لصفّارات الإنذار أن تعلن انتهاء عهد الظلام وبداية النّور، ومن هذه الحوادث أن أيوان كسرىٰ أنوشروان الذي كانت الأنظار مشدودة اليه والىٰ صاحبه حيث كانت ترىٰ فيه مثلاً أعلىٰ للقدرة والسلطان الذي لايزول ... هذا الايوان اضطرب في تلك الليلة ومادت به الأرض فسقطت اربع عشرة شرفة من شرفاته ...

---

١ - بحار الانوار: ج ١٥، ص ٣٢٥.
٢ - المصدر نفسه: ص ٢٥٠.
٣ - المصدر: ج ١٥، ص ١٢٥.

وهناك أيضاً نار فارس قد خبت وانطفأت فجأة ولأوّل مرّة منذ ألف سنة[١]. وهكذا تنبّه سدنة معابد النار والكهان الذين منعتهم حجب التعصّب والتقليد الأعمىٰ عن التفكّر في آيات اللّه في الكَوْنِ وفي أنفسهم، هؤلاء تنبهوا الىٰ أن للسماء خبراً وأن لهذا اليوم شأناً خطيراً.

وكان لجفاف بحيرة ساوة أثر في تنبيه منطقة أُخرىٰ لحقيقة ما يجري علىٰ وجه الأرض[٢].

حليمة (رض) مرضعة محمّد (ﷺ)

كان العرب منذ القدم قد اعتادوا علىٰ تسليم أطفالهم الىٰ المراضع اللاتي كنّ يسكنّ البادية وذلك لتنشئة الطفل نشأة سليمة. ففي البوادي يتوفّر الهواء الطلق والحياة الهادئة البعيدة عن صخب المدينة وضوضائها، أضف الىٰ كل ذلك الفصاحة في اللغة العربية، حيث كان منبعها الأصيل سكان البوادي البعيدين عن الاختلاط بغير العرب.[٣] لهذه الأُمور من جهة ولقلّة لبن آمنة من جهة أُخرىٰ ارتأىٰ عبد المطلب (عليه السلام) جدّ محمّد (ﷺ) وكفيله أن يختار للوليد الحبيب محمد (ﷺ) مرضعة نجيبة يطمئنّ إليها في رعايته والعناية به، وكان أن وجد حليمة بنت أبي ذؤيب وهي من قبيلة بني سعد المعروفة بشجاعتها وفصاحتها، وحليمة(رض) هذه تعدّ من النساء الأصيلات العفيفات وهكذا اصطحبت حليمة (رض) محمّداً (ﷺ) الىٰ ديار بني سعد في البادية وكانت ترعاه رعايتها لابنها بل أكثر من ذلك فقد كان قلبها قد امتلأ حبّاً وشغفاً بهذا الطفل منذ اللحظة الأُولىٰ التي أبصرته فيها.

وفي تلك السنة كان قد أصاب بني سعد القحط ومسّهم الضرّ والشقاء

١، ٢ ـ بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٣.

٣ ـ السيرة الحلبية: ج ١، ص ٩٩.

وأجدبت بهم الأرض فلا مطر ولا زرع ولا رعى .

ولكن ماإن وصل محمّد(ﷺ) الىٰ تلك الديار، إلّا وبدأت البركة والخير تغمران منزل حليمة فقد سمنت غنمها بعد الهزال، وزاد لبنها بعد النضوب، ونعمت هي وأبناؤها بحياة راضية هادئة بعد حياة الفقر والعوز والفاقة .

ونما محمّد (ﷺ) لا كما ينمو غيره من الأطفال، فقد كان أسبقهم عدواً وأفصحهم لساناً .

وكانت حالة اليُمن والبركة التي حلت مع محمّد (ﷺ) بين بني سعد واضحة وظاهرة وقد أدركها الجميع بسهولة واعترفوا بما لهذا الرضيع من شأن حتىٰ أن الحارث زوج حليمة قال لها يوماً : «أتعلمي يا ابنة أبي ذؤيب إنك قد حملت نسمة مباركة ؟»[١]

محمّد (ﷺ) في غمرة الأحداث

كان محمّد (ﷺ) قد بلغ السادسة من عمره المبارك حينما خرجت به أُمّه آمنة (عليها السلام) الىٰ يثرب لزيارة أخواله من بني النجار[٢] إضافة الىٰ زيارة قبر زوجها الحبيب عبد الله، وبعد أن قضوا وطرهم من زيارة يثرب قفلوا راجعين الىٰ مكة المكرّمة، وفي الطريق تلمّ العلّة بآمنة ولا تكاد تصل الىٰ «الأبواء» حتىٰ تودع هذه الدار وتلتحق بالرفيق الأعلىٰ[٣] وهكذا يحرم محمّد (ﷺ) من حنان أبويه وعطفهما وهو في السن التي يحتاج فيها أمثاله إلىٰ رعاية الوالد ومحبّة الوالدة .

صفات و ملامح محمّد (ﷺ)

لم تكن ولادة محمّد (ﷺ) وما صاحبتها من حوادث خارقة فحسب

---

١ - مقتبس من بحار الأنوار والسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام .

٢ و ٣ - سيرة ابن هشام : ج ١ ص ١٦٨ .

بل كانت سيرته وهو في طفولته متميّزة عن أقرانه وأمثاله وهذا هو ما كان يدعو جدّه عبد المطلب (سلام اللّه عليه) الىٰ اعزازه واحترامه بشكل مثير [١].

وهذا هو عمّه أبو طالب يصف طفولة ابن أخيه فيقول: «لم أجد لمحمّد كذبة قط ولا عملاً مخالفاً للحكمة، لم يكن ليضحك في غير محلّه، أو يتكلّم فيما لا يعنيه وكان يقضي جلّ وقته وحيداً» [٢].

وما إن بلغ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) السابعة من عمره حتىٰ كان لليهود شأن معه فقد كانوا قد قرأوا أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن أن يأكل الحرام وأنه يجتنب ما فيه شبهة، فسرقوا دجاجة وأرسلوها الىٰ أبي طالب وراقبوا هذه العملية فأكل الجميع لعدم علمهم بأصل القضية إلّا محمّداً فقد امتنع عن الأكل وحفظه اللّه عن أكل الحرام لئلا يتربّىٰ لحمه ودمه علىٰ الحرام وهو المعدّ لحمل رسالة اللّه الىٰ البشرية.

وهناك ادرك اليهود أن لهذا الطفل شأناً وأنه هو الموعود [٣] وأما عبد المطلب زعيم قريش وكبيرها فلم يكن يعامل محمّداً كما يعامل باقي أحفاده بل كان دائماً يظهر رفعة مقامه وعلو منزلته ويتنبّأ بما يكون له من الشأن.

كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة وكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش إجلالاً لأبيهم وكانت هيبة هذا الشيخ تمنعهم من الدنوّ والاقتراب منه إلّا ذلك الطفل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان يدنو منه متىٰ شاء وقد يسبقه الىٰ مكانه فيجلس فيه فيحاول أعمامه ردّه ومنعه عن ذلك وهنا ينبري الشيخ عبد المطلب فيكفّهم عنه ويقول: «دعوا ابني فواللّه إنّ له لشأناً عظيماً» وهنا يتجاذب محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) الحديث مع عبد المطلب سيّد مكة وعظيمها [٤].

---

١ و ٢ ـ مقتبس من بحار الانوار: ج ١٥، ص ٣٨٢.

٣ ـ بحار الأنوار: ج ١٥، ص ٣٣٦.

٤ ـ بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١٤٢، سيرة ابن هشام: ج ١، ص ١٦٨.

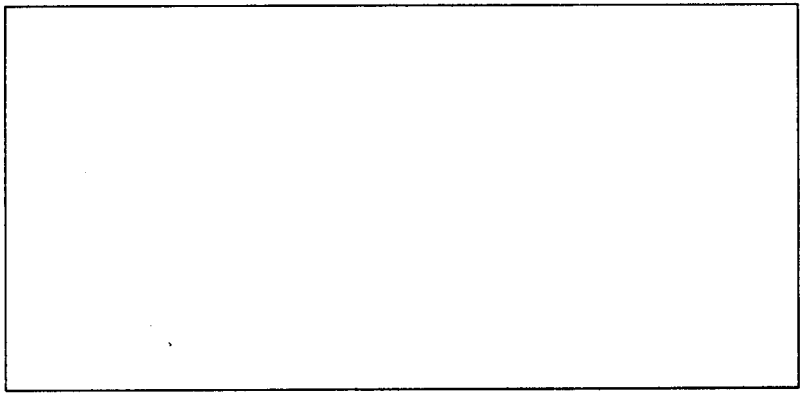

خواطر من حياة محمد(ص)
فی طفولته و شبانه

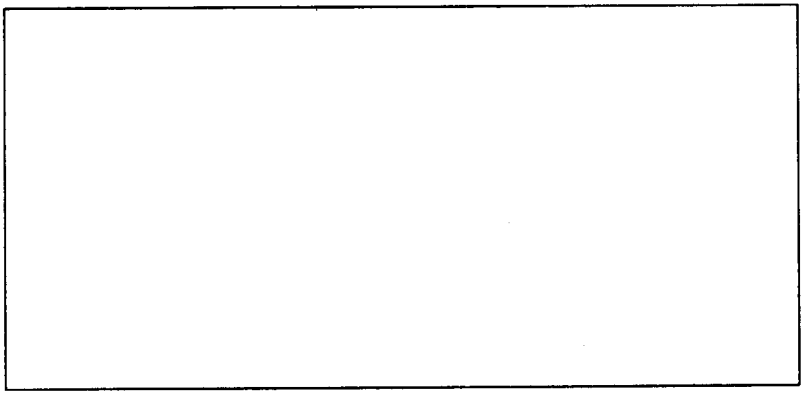

خواطر من حياة محمّد (ﷺ)

طوىٰ محمّد (ﷺ) دور طفولته الّتي عانىٰ فيها من ألم اليتم... في ظلّ جدّه الكبير عبد المطلب (عليه السلام)، وعمّه الرّؤوف أبي طالب (عليه السلام)، وكأنّ هذه السنوات الأُولىٰ من عمره المليئة بآلام اليتم الذي كان ولاشك باعثاً علىٰ الحزن العميق والأسىٰ الشديد، في نفسه الشريفة ... كأنّ هذه السنوات كانت ضروريّة ولازمة لوضع الأُسس القويّة لشخصيته العظيمة، فقد أعطته هذه الأحداث وما صاحبها من أثار دَرساً مؤثراً في الصبر علىٰ المكاره، وتحمّل المسؤوليّات الثقيلة التي كان يعدّ للقيام بها في المستقبل.

وبدأ محمّد (ﷺ) يتخطّىٰ مرحلة الطفولة ليدخل دور الفتوة والشباب الذي تتفتّح فيه القوىٰ والقابليات، وتنمو فيه المدارك والغرائز... ولئن كان قد حرم رعاية الوالد وحنان الأُم وهو أحوج ما يكون إليهما فإنّ اللّه تعالىٰ هيّأ له من عمّه أبي طالب (عليه السلام) خير راعٍ وكفيل، وقد كان عند حسن ظن أبيه عبد المطلب (عليه السلام) حينما عهد إليه أمر رعاية محمّد(ﷺ) وكفالته من بعده.

وقام أبو طالب (عليه السلام) بالمهمة خير قيام فاغدق عليه من حبّه وخصّه بعطفه وضمّه الىٰ عائلته وأسكنه بيته، وكيف لا يكون كذلك و محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرىٰ أخيه الشقيق ووصيّة والده العظيم ؟

وهكذا صار أبو طالب (عليه السلام) الأب الثاني لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والعم الوفيّ، والمربّي المخلص وتوطّدت رابطة الحبّ والمودّة بين العم وابن أخيه، حتّىٰ لم يعد أحدهما يستطيع أن يفارق الآخر، فكان أبو طالب (عليه السلام) يأخذ بيد محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدور معه في أسواق العرب، مثل (عُكاظ) و (ذي المجاز)، وحتىٰ حينما عزم أبو طالب (عليه السلام) علىٰ السفر الىٰ الشام في تجارة له، فإنّه لم يقو علىٰ فراق محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصّة حينما وجد أن هذه الرحلة قد صادفت هوىٰ في نفس محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغبة إليها، فصمّم علىٰ اصطحابه، قائلاً لأهل بيته : واللّه لأخرجنّ به معي ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً .

و حينذاك ركب محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) الناقة ليقطع طريق الشام الطويل بادئاً بذلك رحلته الأُولىٰ الىٰ الشام [1] .

حديث بحيرى الراهب مع محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

في أحد الأيام، وفيما كانت قافلة قريش التجارية تقترب من (بُصرىٰ)[2] أطلّ راهب يسمّىٰ (بحيرىٰ) من صومعته، ولشدّ ماتملكته الحيرة والعجب حين رأىٰ قافلة تتّجه صوب بصرىٰ، وقطعة من الغمام قد ألقت ظلالها فوق بعضهم، تسير معهم إذا ساروا وتقف اذا وقفوا، وتتّجه حيثما اتجهوا .

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ١٨٠ .

٢ - مدينة صغيرة تقع في اطراف الشّام .

فلما رأىٰ بحيرىٰ ذلك نزل من صومعته، ثم أرسل اليهم أحد غلمانه قائلاً:

« إنّي قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش فأنتم اليوم ضيوفي ».

فاستجابوا لدعوته، وحضروا عنده وتخلّف رسول اللّه (ﷺ) من بين القوم لحداثة سنّه، وبقي عند رحالهم.

ولم يجد فيهم بحيرىٰ طلبته وغايته، فسالهم، هل بقي أحد منكم لم يحضر؟ فأجابوه أن قد حضر جميعهم إلّا غلام هو أحدثهم فقال بحيرىٰ: أدعوه فليحضر هو الآخر معكم.

وذهب بعضهم فأحضر محمّداً (ﷺ) فلمّا رآه بحيرىٰ جعل يلحظه لحظاً شديداً ويحدق فيه، حتىٰ اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام اليه بحيرىٰ، وجرت بينهما المحاورة التالية:

بحيرىٰ: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزّىٰ إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه.

محمّد (ﷺ): لا تسألني باللّات والعزّىٰ فواللّه ما أبغضت شيئاً قطّ مثلهما، وليسا هما سوىٰ صنمين من حجر يعبدهما قومي.

بحيرىٰ: فباللّه عليك إلّا ماصدّقتني فيما سألتك.

محمّد (ﷺ): سل عمّا بدا لك فإنّني صادق دائماً.

وبعد محاورة قصيرة بينهما وقع بحيرىٰ علىٰ يديه وقدميه يقبّلهما ويتمتم قائلاً: هو ذاك ... هو ذاك ويسأله أبو طالب: أيّ شيء هو؟

فيقبل بحيرىٰ علىٰ أبي طالب (عليه السلام) ويقول له: ما هذا الغلام منك؟

فيجيب أبو طالب: إنّه ابني.

بحيرىٰ: ما هو بابنك، وماينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

أبو طالب : صدقت فانه ابن أخي .

بحيرىٰ : صدقت فارجع بابن أخيك الىٰ بلده واحذر عليه اليهود فواللّه لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليسعون في هلاكه فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

أبو طالب : ماذا سيفعل، وما هو شأن يهود معه ؟

بحيرىٰ : لقد رأيت في عينيه علامات النبوة .

أبو طالب : ومن أين عرفت ذلك ؟

بحيرىٰ : من الغمامة التي كانت تظله، من الكتب التي رأيت فيها أوصافه ونعوته، من نبرات صوته الروحية، ومن أُمور أُخرىٰ .

وأخيراً قال له أبو طالب (عليه السلام) : سوف لن يتركه اللّه وسيحفظه من شر أعدائه اليهود [1] .

وتحرّك الركب عصر ذاك اليوم وسرت همهمة بين القوم عمّا دار وكلّهم ينظر الىٰ محمّد (صلى الله عليه وآله) وكُلّ يقول شيئاً .

رعي الغنم وأثره في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)

علىٰ الرغم من أنّ أبا طالب كان معدوداً من زعماء قريش وكبارها إلّا أنّ أمواله لم تكن تفي بحاجته في إقامة إود عائلته الكبيرة ، وسدّ متطلباتها، وما ان بلغ محمّد (صلى الله عليه وآله) مرحلة الفتوّة والشباب، حتىٰ أحبّ أن يتخذ لنفسه عملاً يخفف به عن كاهل عمّه والآن لننظر ماذا ينتخب لنفسه من عمل ينسجم مع روحيّته ويوافق ميله ؟

إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ كان قد قدر لمحمد (صلى الله عليه وآله) أن يكون نبياً للإنسانية

---

١ - مقتبس من سيرة ابن هشام : ج ١، ص ١٨١، بحار الأنوار : ج ١٥، ص ١٩٣ - ٢٠٤، اعلام الورىٰ : ص ٢٦ .

جمعاء، ويتسلّم زمام القيادة التي تستلزم إمكانيات روحيّة ونفسيّة هائلة، خاصّة وأنّه سيواجه ذلك الركام الضخم من العقائد الباطلة والتقاليد الخاطئة التي كانت تتحكم في عقول الناس وسلوكهم ولابدّ أنه سيواجه لذلك مقاومة شديدة من أُولئك الذين وجدوا آباءهم علىٰ ملّة وهم علىٰ آثارهم مقتدون لهذا كلّه فقد ألهمه اللّه تعالىٰ أن يختار لنفسه الرعي مهنة وحرفة لما فيها من تحرّر من ضوضاء المدينة وجدال أهلها وفسوقهم وانغماسهم في شهوات الدنيا من جهة ولأنها من جهة أُخرىٰ توفّر له فرصة مناسبة للتفكير والتأمّل في مظاهر الطبيعة الحرة التي يعيشها وجهاً لوجه في الصحراء ولاشك أن لكل هذا تأثيره الكبير فيما يستعدّ له محمّد(ﷺ) في المستقبل.

وهكذا بدأ محمّد (ﷺ) يرعىٰ غنم أهله وغنم الآخرين في أطراف مكّة [1] وقد ظهرت في هذه المرحلة من حياته (ﷺ) مظاهر أمانته وحرصه علىٰ أموال الآخرين وعدم تطاوله علىٰ ماتحت يده من الغنم وأصوافها وألبانها حتىٰ أنه اشتهر بين اهل مكّة بـ(محمّد الأمين) [2].

عفّته و طهارة نفسه وتعاليه عن المغريات

حيثما تبدأ الغرائز والقوىٰ عند الإنسان بالتفتّح إثر مرحلة البلوغ، يكون الطفل قد تخطىٰ مرحلة الطفولة ودخل مرحلة هامّة وخطيره من مراحل حياة الإنسان ألا وهي مرحلة المراهقة التي تمتاز بتهيج الغرائز عند الشاب وفورانها والبحث عن اشباعها، وفي هذه المرحلة الحسّاسة بالذات يكون الشاب معرضاً للانحراف الأخلاقي، والتلوّث، وارتكاب الخطيئة والانزلاق في الشهوات واذا لم يكن هناك من مراقب ومربّ يأخذ بيد هذا

---

١ و ٢ - سيرة ابن هشام: ج ١، ص ١٨٣ - ١٦٧.

الشاب ويحميه عن السقوط في الرذيلة أو إن لم يسع الشاب نفسه في حفظ نفسه عن اللهو والعبث وتهذيب غرائزه والسموّ بها عن عالم المغريات، إن لم يحدث هذا أو ذاك فلاشك أنه سوف ينحدر الىٰ وادي الشقاء السحيق الذي قد لايمكنه أن يرىٰ للسعادة لوناً بعده و محمّد(ﷺ) الذي كان يعيش في بيئة منحرفة قد اتخذت اللهو واللعب والعبث شعاراً لها وقد غيرت الرذائل الخلقية والمآثم سماتها وآفاته واستهوىٰ الجنس ومغرياته شبابها بل وحتىٰ كهولها وشيبها الىٰ الحد الذي كانت ترتفع معه بعض الأعلام البيض (بل السود في حقيقتها) فوق بعض البيوت الداعرة معلنة وبكلّ وقاحة وصلف عن وجود بغي من الساقطات تلبّي شهوات أُولئك الساقطين، نعم إنّ محمّداً (ﷺ) الذي كان بلغ مرحلة شبابه في مثل هذا المجتمع المنحطّ الفاسد ورغم أنه لم يتزوج قبل الخامسة والعشرين من عمره إلّا أنه لم يتأثر بما حوله أبداً ولم تصدر عنه خطيئة أو عمل مشين مهما كان صغيراً، بل إن الجميع أحبّاء كانوا أو أعداء كانوا يشهدون له علىٰ أنه مثال الكمال والفضيلة والأخلاق.

ويتّضح هذا الأمر بكل جلاء في الأشعار التي أنشدت بمناسبة زواجه من خديجة والتي كان منشدوها يذكرون فيها جملة من صفات محمّد(ﷺ) وكمالاته.

فلنستمع الىٰ هذا الشاعر حيث يقول:

أخديجة نلت العلىٰ بين الورىٰ ... وفخرت فيه جملة الثقلان

أعني محمّداً الذي لا مثله ... ولد النساء في سائر الأزمان

فله المكارم والمعالي والحيا ... ماناحت الأطيار في الأغصان[1]

---

١ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٤.

وهذا شاعر آخر يقف خاشعاً في محراب فضائل محمّد (ﷺ) فيقول:

لو أن يـــوازن أحـــمد بـــالخلق كـــلّهم رجـــح
ولقـــد بـــدا مـــن فـضله لقـريش أمـر قـد وضـح[1]

١ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٧٥.

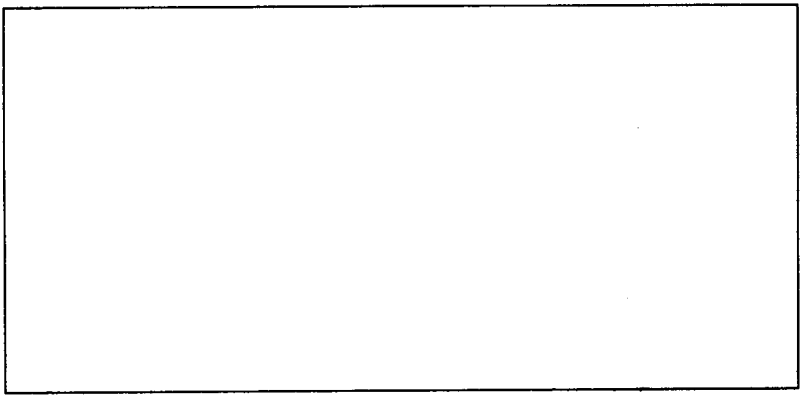

الزواج الاول لمحمد (ص)

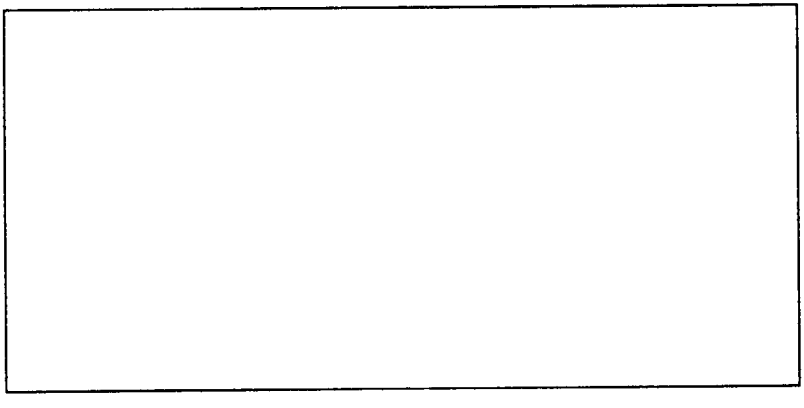

الزّواجُ الأوّل لمحمّد (ﷺ)

دور المراهقة، هو دور الفتوّة . دور تفتّح الغرائز وبروز القوىٰ الجنسية عند الأفراد وحينما يصل الفتىٰ أو الفتاة الىٰ هذه المرحلة يحسّون في أعماقهما بحاجة كلّ منهما الىٰ الجنس الآخر، واذا لم يلبّيا هذه الحاجة الملحّة ويشكلا بيت الزوجية، فإن سعير ذلك الإحساس سوف يشتدّ ويشتدّ حتىٰ يفسد عليهما سعادتهما ويحرمهما من لذّة الطمأنينة والهدوء.

ومن هنا كانت نظرة الإسلام الواقعية الىٰ هذا الموضوع فهو يرىٰ ضرورة تلبية هذه الغريزة الإنسانية ولكن بالشكل الصحيح المنظم كي لا يقع المجتمع فريسة للطغيان الجنسي .

لهذا فإن الإسلام يوصي بالزواج المبكر، ويدعو الناس الىٰ الاعتماد علىٰ اللّه تعالىٰ وعدم الخوف من الفقر وتكاليف الأسرة في المستقبل .

فيقول تعالىٰ (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[1].

ولكننا نجد في بعض الحالات أنّ الحالة المعيشية لبعض الأفراد لا تمكنهم من تهيئة الشرائط الأولية للزواج ولاشك أنه في مثل هذه الحالة لابدّ من السعي والعمل لتهيئة الظروف اللازمة والمساعدة للزواج وحتىٰ تحين تلك الساعة لابدّ للإنسان من أن يتكل علىٰ تقواه ويعتمد علىٰ عفتّه

---

١ - سورة النور : الآية ٣٢ .

وهنا تقول الآية الكريمة :

(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذينَ لَايَجِدُونَ نِكاحاً حَتّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[١].

كان محمّد (ﷺ) قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف إلّا أنه كان يعيش ظروفاً صعبة لم تكن تسمح له بالإقدام علىٰ الزواج لذا بقي منتظراً توفر الإمكانيات اللازمة وتهيئة شرائط ومستلزمات الحياة الزوجية[٢].

اقتراح خديجة (عليها السلام)

كانت خديجة (عليها السلام) امرأة ثرية وذات شرف ومنزلة، وكانت تستأجر الرجال ليتجروا لها في أموالها مقابل مقدار من المال تجعله لهم .

فلمّا بلغها عن محمّد (ﷺ) مابلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه التي كانت حديث الناس في نواديهم ومجالسهم بعثت إليه، و عرضت عليه أن يخرج في مال لها الىٰ الشام ويتجر به مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ماكانت تعطي غيره من التجار، فقبل محمّد(ﷺ) بهذا العرض علّه بذلك يستطيع أن يساعد عمّه أبا طالب الذي كان بلغ به الكبر واشتد عليه الزمان مع كثرة في العيال وقلّة في المال[٣].

من هي خديجة ؟

هي خديجة بنت خويلد وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة ومن أوفر أهل مكة غنىٰ، ومع أنها كانت قد بلغت الأربعين من عمرها، فقد تقدّم لطلب يدها العديد من كبار قريش، نظراً لشرفها ونسبها وأموالها، إلّا أنّ خديجة (عليها السلام) ردّت كلّ أولئك لأنها كانت تعتقد أنهم إنما تقدّموا طمعاً في مالها ولأنهم ليسوا أكفاء لها[٤] .

---

١ - سورة النور : الآية ٣٣.

٢ - أعيان الشيعة : ج ٢، ص ٨، السيرة الحلبية : ج ١، ص ١٥٢ .

٣ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ١٨٨، بحار الأنوار : ج ١٦، ص ٢٢ .

٤ - بحار الأنوار : ج ١٦، ص ١٢، تاريخ الطبري : ج ٣، ص ١١٢٧ .

محمّد (ﷺ) يسافر الىٰ الشام

في الوقت الذي كانت فيه قافلة قريش التجارية تتهيأ للسفر الىٰ الشام كان محمّد (ﷺ) قد هيّأ نفسه هو الآخر لهذه الرحلة وقد استدعت خديجة غلامها ميسرة وأمرته أن يلازم محمّداً (ﷺ) و يقوم علىٰ خدمته.

ونحن وإن كنّا لا نستطيع أن نأتي علىٰ كل تفصيلات هذه الرحلة وما انطوت عليه من أُمور إلّا أننا نستطيع أن نقول باختصار: إنّ هذه الرحلة كان عميمة الخير والبركة من جوانب عديدة.

فهي أولاً قد درّت ربحاً وفيراً علىٰ محمّد (ﷺ) وخديجة عليها السلام، وثانياً أنها أظهرت شخصية النبي (ﷺ) بصورة أجلىٰ عند زملاء السفر من قريش، أضف الىٰ ذلك لقاء النبي محمّد(ﷺ) مع الراهب المسيحي [1] الذي تنبأ بما يكون له من شأن عظيم حسب علامات وجدها فيه وأخيراً فقد كانت هذه المرحلة إحدىٰ مقدمات الزواج الميمون، زواج محمّد (ﷺ) وخديجة عليها السلام وبعد مدّة عزمت القافلة علىٰ الرّجوع وأشرفت الرّحلة علىٰ الانتهاء وباع محمّد (ﷺ) واشترىٰ ما أراد، ثم قفل راجعاً الىٰ مكة، فلما قدموا إليها تحدث ميسرة الىٰ خديجة عليها السلام عن رحلتهم واصفاً ربحهم الكثير والبركة التي غمرتهم، وشرع يروي لها عن محمّد (ﷺ) وما ظهر علىٰ يديه من الكرامات، وما صاحبه من العجائب وما سمعه من قول الرّاهب عنه [2].

ولمّا سمعت خديجة عليها السلام كل هذا من ميسرة مع ماكانت تعرفه عن فضله ونبله، وماكان من أقوال أحد علماء اليهود في شخصية محمّد(ﷺ) وعلوّ شأنه وتزوّجه من خير نساء قريش ـ أي خديجة عليها السلام ـ كلّ هذه الأُمور طبعت حبّ محمّد (ﷺ) في قلب خديجة

---

١ - سيرة ابن هشام: ج ١، ص ١٨٨، وهذا الرّاهب غير الرّاهب بحيرىٰ الذي التقي به النبي (صلىٰ الله عليه وآله وسلّم) في رحلته الأُولىٰ حينما كان غلاماً مع عمّه أبي طالب (عليه السلام).

٢ - الكامل لابن الأثير: ج ٢، ص ٣٩ ط بيروت.

عليها السلام، وتمنّت من أعماقها أن يتسنىٰ لها الزّواج من محمّد (ﷺ) الذي صار في نظرها الزّوج المثالي الذي كانت تطلبه وتبحث عنه، وقد زاد من شوقها لهذا الأمر أنها كانت قد ذكرت لابن عمها ورقة بن نوفل ـ وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب الأُولىٰ ـ ماقاله لها غلامها ميسرة من حديث الرّاهب ومن الظّل الملازم له ومن الأُمور الأُخرىٰ، عندها قال ورقة :

لئن كان هذا حقاً ياخديجة، إن محمّداً لنبي هذه الأُمة [١].

ولكن كيف تصل الىٰ هذه الأُمنية ؟ اذ ليس من السهل أن تصارحه بذلك مع ماهي عليه من الشخصية المتينة والمكانة المحترمة بين نساء قريش [٢].

اقتراح الزّواج

بعثت خديجة عليها السلام صديقتها وصاحبة سرها « نفيسة بنت منية» الىٰ محمّد (ﷺ) لتبحث معه حول موضوع الزواج وتنظر رأيه في ذلك، وذهبت نفيسة الىٰ محمّد (ﷺ) وقالت له :

مايمنعك أن تتزوج ؟ فأجابها محمّد (ﷺ) ليس عندي ما أتزوج به .

قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت الىٰ الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟

قال محمّد (ﷺ) من هي ؟

أجابت نفيسة : خديجة .

قال محمّد (ﷺ) : كيف لي بذلك، وهي التي قد ردّت أشراف قريش وأغنياءها .

قالت نفيسة : عليّ ذلك وسأقوم به [٣].

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ٢٠٣، بحار الأنوار : ج ١٦، ص ٢٠ ـ ٢١ .

٢ - ذهب ابن اسحاق كما يذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية الىٰ أن خديجة عليها السلام عرضت نفسها علىٰ النبي (صلىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) بدون وساطة، ويذهب الآخرون الىٰ أن ذلك قد حصل بوساطة تمّت علىٰ يد أُخت خديجة أو صديقتها نفيسة .

٣ - السيرة الحلبية : ج ١، ص ١٥٢، حياة محمّد : ص ١٢٢، أعيان الشيعة : ج ٢ ص ٨ .

وما ان اطمأن محمّد (ﷺ) الىٰ أن خديجة ترغب في الزواج منه حتىٰ ذكر ذلك لأعمامه الذين فرحوا وباركوا بدورهم هذا الزواج، ونهضوا معه الىٰ بيت خديجة عليها السلام حيث تمّت الخطبة، واحتفل بعدها بالزواج [١].

وقد قضىٰ محمّد (ﷺ) خمسة وعشرين سنة مع خديجة عليها السلام كانت من أفضل أيام حياته الزوجية، لم تكن خديجة عليها السلام الزوجة الصالحة فقط بل أنها كانت فوق ذلك خير ناصر ومعين لمحمد (ﷺ) في حياته قبل الرسالة وبعدها ولقد كانت أوّل من آمن بدعوته من النساء ووضعت جميع ماتملك من الأموال تحت تصرفه لينفقها في سبيل الإسلام [٢].

وقد رزقه اللّه من هذا الزواج ستة أولاد، منهم ابنان هما، القاسم والطاهر اللّذان ماتا في مكّة قبل البعثة وهما طفلان.

وأربعة بنات هنّ رقية وزينب وأُمّ كلثوم وفاطمة (س) التي كانت أفضلهنّ [٣].

ونظراً لما بذلته خديجة عليها السلام من تضحيات وما اتسمت به من وفاء وفداء لمحمد (ﷺ) ورسالته فقد كانت أثيرة عنده يكنّ لها الحبّ العميق لا في حياتها وحسب بل وحتىٰ بعد مماتها إذ ماكان يتذكرها إلّا وتظهر عليه علامات الحزن والتأثر [٤] وقد كان يبكي أحياناً لفراقها.

وعلىٰ أيّ حال فقد تزوج محمّد (ﷺ) خديجة عليها السلام وعمرها أربعون سنة وانتقلت الىٰ جوار ربّها في الخامسة والستين أي بعد بعثة النبي (ﷺ) بعشر سنين ولم يتزوج النبيّ محمّد (ﷺ) غيرها مدة حياتها إكراماً وإعظاماً لها.

رحم اللّه خديجة عليها السلام فقد كانت مثالاً للزوجة المخلصة الأمينة المؤمنة.

---

١ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٥٦ - ٧٣.

٢ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٠ - ٧١، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ١٠٨

٣ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٣، اعلام الورىٰ: ص ١٤٦، أعيان الشيعة: ج ٢، ص ١٨.

٤ - بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٣.

تعدد زوجات النبی (ص)

علی واقعه

مقدمة :

نماذج من تُهَم المسيحيين (المستشرقين)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي بدأ كتّاب المسيحية الحاقدون شنّ هجمة شرسة، من خلال الكتب المملوءة بالأكاذيب والدّسّ والافتراء مستهدفة النيل من الإسلام ومفاهيمه وتاريخه بشكل عام، وتشويه الصورة الحقيقية لشخصية رسول الإسلام العظيم، ليضللوا الناس ويصرفوهم عن الاهتمام بالإسلام والتوجّه إليه.

والمصادر الأوّلية التي كان يعتمد عليها هؤلاء الكتّاب هي بعض التآليف الحاقدة التي أُلفت في القرون الوسطىٰ المظلمة في أُوربا من قبل بعض المؤلفين المسيحيين الذين أعمت العصبية بصائرهم، فحالت بينهم وبين إدراك الحقائق ؛ ويمكننا بهذا الصدد أن نشير الىٰ كتاب (ردود علىٰ دين محمّد) الذي صدر في القرن الخامس عشر للمدعو « جان آندريه مور» (J. A. Maure) وهو يعتبر مرجعاً هامّاً لأكثر من جاء بعده من الكتّاب المسيحيين في كتاباتهم المعادية للاسلام، نظراً لجهل هؤلاء الكتّاب باللغة العربية من جهة، وانعدام المصادر الإسلامية في مكتباتهم من جهة أُخرىٰ.

وكانت النتيجة أن قنع هؤلاء باستنساخ الكتاب المذكور كمصدر أصيل للتعرّف على الإسلام وتصوّراته ومفاهيمه . نعم، إنّ هؤلاء الكتّاب الذين نجد «كتابهم المقدس» ينسب بصراحة جريمة الزنا الى بعض الأنبياء عليهم السلام بارتكابه [١] لا يمكن أن نتوقع منهم حينما يتحدثون عن نبيّنا محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أن يكتبوا ما شاءت لهم عصبيتهم التي أشربت في نفوسهم وإذا بهم يكتبون أن محمّداً كان رجلاً مهووساً شهوانيّاً، وأنه في الوقت الذي كان يمنع أتباعه عن اتخاذ أكثر من أربعة زوجات دائمات، كان يتخذ لنفسه أكثر من هذا العدد بكثير [٢] .

لقد صوّرت لهم أوهامهم الفاسدة أنهم بتلفيق هذه الأكاذيب يستطيعون تشويه صورة نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذهن القاريء المسيحي الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام وأنهم بهذا العمل يحولون بين الإسلام وبين تقدمه السريع وانتشاره الواسع، ولكن محاولتهم هذه باءت بالفشل الذريع كسائر محاولاتهم التي ثبت زيفها وعدم تأثيرها .

ولم يطل الوقت، فقد ظهر كتّاب وعلماء مسيحيون منصفون جعلوا البحث العلمي الموضوعي البعيد عن التعصّب مهما أمكن شعاراً لهم، ومنهجاً، وانبروا للذّب عن ساحة نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) والدفاع عن شخصيّته العظيمة، والاعتذار في الوقت نفسه عما تعرّض له النبيّ محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم من جملات ظالمة شنتها أقلام قومهم المتعصبة .

إنّنا في الوقت الذي لانشك فيه أن مثل هذه الأساطير والأكاذيب ليس لها مجال في مثل مجتمعنا الإسلامي الذي يؤمن ويعتقد بعصمة

---

١ - الكتاب الثاني لصموئيل : الاصحاح ١١ . ٢ - حياة محمّد (ص) : ص ٣١٥ .

الأنبياء عليهم السلام إلاّ اننا نجد من الضروري بيان الحقيقة ساطعة وبكل وضوح لأُولئك الذين لا يتفقون معنا في هذه العقيدة ولا يلتقون مع نظرتنا في عصمة الأنبياء عليهم السلام .

حكم التاريخ وقضاؤه

لقد ذكر محققوا التاريخ المنصفون من المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء أنّ الزواج المتعدّد للنبيّ (ﷺ) لم يكن اتّباعاً للهوىٰ وكيف يمكن أن يتصور ذلك في حقه (ﷺ) وهو الذي قد تزوج أوّل مرة حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره، أي في عنفوان شبابه وفي المرحلة التي يتعلق فيها حلم الشاب بزوجة شابة جميلة، تزوّج بالسيدة خديجة بنت خويلد التي كان لها من ا لعمر حينذاك أربعون سنة ...؟

ومع هذا فإننا نرىٰ النبي محمّداً (ﷺ) يعيش مع هذه السيدة الجليلة قرابة خمس وعشرين سنة في سعادة تامّة وهناء لا يشوبه اختلاف، وأنّه في كل هذه المدة لم يتزوج من غيرها مع كثرة الراغبين فيه من بنات مكة وفتياتها اللائي كنّ يفتخرن ويباهين بالزواج من محمّد (ﷺ) الصادق الأمين لو تسنىٰ لهنّ ذلك .

إذن فلاشك في أنّ محمّداً (ﷺ) لو كان شخصاً قد تملّكته الشهوة الجنسية لما امتنع كل هذه المدة الطويلة عن التزوج من فتاة جميلة شابّة تقاربه في السن وتدانيه في الفتوة والشباب .

استجواب للمستشكلين

إذا أراد أحد أن يسأل هؤلاء ما هو السبب الذي دعىٰ الرسول الأكرم(ﷺ) وهو في قمة شبابه ان يتزوج بسيدة قد تخطّت سنّ الشباب

وتجاوزت الأربعين من دون أن يتزوّج من غيرها طيلة حياتها، ولكنّه في السنين العشرة الأخيرة من حياته (ﷺ) حيث كانت الشيخوخة من جهة ومشاكل الدولة الإسلامية الفتية داخلياً وخارجياً من جهة أُخرىٰ، لا تسمحان له بفرصة التفكير في النساء عادة ... لكنه مع ذلك يقدم علىٰ التزوج من نساء عديدات ؟

أليس في حفظ النساء الارملات ورعاية أيتامهن ترويض كبير للنفس ؟

أم هل يتفق العيش مع نساء عديدات، لكل منهن أخلاق وصفات وأذواق خاصّة ... مع الهوىٰ واللذة والتمتع ؟

هذه كلها أسئلة نوجهها الىٰ هؤلاء المفترين،ولكنها تبقىٰ حائرة دون جواب. ولابدّ لهم أخيراً من أن يعترفوا بأنّ محمّداً (ﷺ) لم يكن أبداً من أولئك الذين تستهويهم الشهوات، وتستولي عليهم اللذائذ الجنسية وأنهم انما اتهموه بكل ذلك، عناداً منهم وظلماً وتعصباً لا غير.

وأخيراً لنستشهد بكلمة لأحد منصفي المستشرقين وهو « جان ديون بورت » حيث يقول :

« هل من الممكن لرجل تستهويه الشهوة، وفي محيط وبيئة كان تعدّد الزوجات فيه عملاً عادياً وطبيعياً أن يقنع بزوجة واحدة لمدة خمس وعشرين سنة [1] ؟

تعدد أزواج النبيّ (ﷺ)

اختار النبيّ (ﷺ) بعد وفاة خديجة عليها السلام عدّة زوجات، ومن جملتهن : سودة، عائشة، غزية، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، زينب بنت

---

١ - كتاب « عُذر تقصير به پيشگاه محمّد وقرآن » فارسي ص ٣٥.

جحش ، زينب بنت خزيمة، ميمونة، جويرية، صفية [١].

وهنا لابد أن نبحث في الظروف التي كانت توجب علىٰ النبي (ﷺ) أن يتزوج من كل هذه النساء، ويمكننا أن نقول أنّ تزوج النبي (ﷺ) كان لعدة غايات وأهداف هي :

١ ـ لأجل رعاية اليتامىٰ والحفاظ عليهم من مكاره الدهر، بعد أن فقدوا كفيلهم وحاميهم، خاصة وأنّ بعض تلك النساء كنّ في خطر أن تستردهن قبائلهنّ بعد فقد أزواجهن، وكان هذا العمل يحمل في ثناياه فتنة الكفر والارتداد الذي قد تتعرض له، كما في شأن سودة التي فقدت زوجها بعد الهجرة الىٰ الحبشة وبقيت بدون راع وكفيل، فتزوجها النبي (ﷺ) إذ كان قد فقد خديجة (رض) حينذاك [٢].

وكذلك الأمر في شأن زينب بنت خزيمة، فقد كانت أرملة قد فقدت زوجها وأشرفت علىٰ الفقر مع أنها كانت أمرأة معروفة بالكرم وتعاهد الفقراء حتىٰ عرفت بـ(أم المساكين) لأجل إنقاذها من محنتها فقد تزوّجها النبي (ﷺ) وتوفيت في حياته [٣].

وهكذا كان شأن « أم سلمة » فقد كانت امرأة محسنة وصاحبة أيتام وعلىٰ جانب كبير من الإيمان والورع فتزوجها (ﷺ) لأجل ذلك [٤].

٢ ـ لأجل القضاء علىٰ بدع الجاهلية ومحوها ويتجلّىٰ ذلك في قضية زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي (ﷺ) التي كان زيد بن حارثة متبنّىٰ النبي (ﷺ) قد تزوج بها، وكان هذا الزواج قد تم باقتراح وطلب من النبي (ﷺ) لكي يكون مثلاً ودليلاً حيّاً علىٰ إلغاء الإسلام للطبقية

---

١ ـ بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤ .

٢ ـ حياة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم للدكتور محمّد حسين هيكل ص ٣١٩ .

٣ ـ حياة محمّد (صلىٰ الله عليه وآله وسلّم) : ص ٣٢٠، بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ٢٠٣ .

٤ ـ حياة محمّد (صلىٰ الله عليه وآله وسلّم) : ص ٣٢١ .

والتعالي الأسري، ذلك أن زينب كانت إحدىٰ حفيدات عبد المطلب كبير قريش وزعيمها، أما زيد فقد كان عبداً مملوكاً أعتقه النبي (ﷺ) ثم تبنّاه من بعد .

وكانت زينب باعتبار شخصيتها ونسبها تتعالىٰ علىٰ زيد وتفتخر عليه مما جعل حياتها الزوجية مشوبة بالمرارة وبعيدة عن السعادة المطلوبة من الحياة الزوجية .

ولم تثمر نصائح النبي (ﷺ) لهما بإدامة زواجها ودفع الاختلاف من بينهما مما أدىٰ في النهاية الىٰ انفصام عرىٰ الزوجية والطلاق [١] .

وبعد أن طلق زيد زينب . عقد عليها الرسول الأكرم (ﷺ) وذلك بأمر إلهي ودستور رباني للقضاء علىٰ عادة جاهلية كانت سارية المفعول في المجتمع آنذاك وكان لها آثارها السيئة في أوساطهم .

ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الولد الذي يتبنّونه ولداً واقعياً لهم يجري عليه مايجري علىٰ الأولاد الصلبيّين للرجل، لذا فانهم لم يكونوا يتزوجون من نساء الولد المتبنىٰ كما لو كانت زوجة ابنه الحقيقي الصلبي .

ولنستمع الىٰ الآية الكريمة التي تذكر هذه القضية وملابساتها ﴿ **فَلَمّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَايَكُونَ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي اَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ اِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً** ﴾[٢] .

الاتهامات الباطلة :

لقد ابتلىٰ بعض الكتّاب المسيحيين بالتعصب الأعمىٰ ولم يستطيعوا أن يحرروا عقولهم ممّا دعاهم أن يلصقوا التهم المزيفة الكاذبة ويخترعوا

---

١ - بحار الأنوار : ج ٢٢، ص ٢١٤ - ٢١٨ . ٢ - الاحزاب : ٣٧ .

من عند يأتيهم بعض الأساطير، فنجدهم يصورون قضية زواج النبي(ﷺ) من زينب حسب ما يشتهون ويعتبرونها قصة غرامية إذ أن النبي (ﷺ) حسب افترائهم كان عاشقاً لزينب ومبهوراً بجمالها الساحر الرائع وأنه كان قد أبدىٰ ذلك مما أدىٰ الىٰ أن يطلقها زيد .

ولا يمكننا اذا أردنا أن نكون موضوعيين إلاّ أن نصف هذا الكلام بأنه باطل من الأساس وأنه يخالف جميع الشواهد العقلية والتاريخية المعتبرة إذ أنّ النبي (ﷺ) اذا كان أسيراً لهواه الىٰ هذا الحد ويشغل فكره بسحر الفاتنات وجمالهن، واذا كان جمال زينب بلغ هذه الدرجة الكبيرة التي جعلت النبي (ﷺ) مفتوناً بها فما الذي كان قد منع النبي (ﷺ) من الزواج بها حينما كانت فتاة باكراً تتمتع بنظارة ومعنىٰ خاص ؟ أهل يمكن أن يقال أنه (ﷺ) لم يكن يعرف عنا ذلك الجمال ؟ كيف وهي لم تكن بعيدة عنه فهي ابنة عمته وقريبته ؟ اللهم إنه لايمكن أن يتقول هذه الأقاويل إلاّ من أعمىٰ التعصب بصره وبصيرته .

٣ ـ زواج لأجل فكّ الأسراء وتحرير الأرقاء وذلك في مثل زواجه بـ (جويرية) التي كانت من قبيلة (المصطلق) المشهورة، وكانوا قد أعلنوا الحرب علىٰ المسلمين، وبعد معركة جرت بينهما كان الغلب فيها لجيش المسلمين، تمّ أسر أعداد كبيرة من هذه القبيلة، وكان من بين الأسراء (جويرية) بنت الحارث كبير القبيلة، ورئيسها، فأطلق النبي (ﷺ) سراحها إكراماً لها وتزوج بها، وحينما علم المسلمون بأنّ النبي (ﷺ) صار صهراً لهؤلاء الأسراء الذين في أيديهم بادروا لإطلاق سراح هؤلاء الأسرىٰ إكراماً لزواج النبي(ﷺ) من جويرية ... يقول ابن هشام (لقد تمّ تحرير مأة من بني المصطلق ببركة هذا الزواج) [1] .

---

١ ـ سيرة ابن هشام : ج ٣، ص ٢٩٥ .

٤ ـ زواج من أجل الارتباط بالقبائل العربية الكبيرة واحتواء بعض أفرادها، وجلب حمايتهم، والحيلولة دون خريبهم وتأليب الناس عليه وعلىٰ الدين الجديد ومن هذا القبيل كان زواجه بعائشة، حفصة، أم حبيبة، صفية، وميمونة.

أمّا (أم حبيبة) فانها بنت أبي سفيان الذي كان وأسرته من أعدىٰ أعداء النبي (ﷺ) وأهل بيته في الجاهلية والإسلام وكان زوجها مسلماً قد هاجر الىٰ الحبشة إلاّ أنه ارتد وصار نصرانياً ثم أدركته المنية، مما سبب اضطراباً وقلقاً بالغاً لأم حبيبة فقد كانت مسلمة لا تستطيع الالتجاء الىٰ أبيها وأسرتها لما تعلم من عدائهم السافر للنبي (ﷺ) ولدعوته ولكن النبي (ﷺ) أنقذها من حيرتها فتزوج منها لكي يكون لها راعياً وكفيلاً من جهة، ولكي يكون في ذلك جلباً واستمالة لقلوب بعض بني أمية (قبيلة أم حبيبة) من جهة ثانية [1].

وكذلك الأمر في (صفية) بنت (حي بن أخطب) رئيس قبيلة بني النضير التي نقضت العهد مع النبي (ﷺ) ممّا ادىٰ الىٰ معركة بينها وبين المسلمين انتهت بغلبة المسلمين وقتل الكثير من اليهود وأسر الباقين وكان من جملة المقتولين (حي بن أخطب) والد (صفية) وقد أرتأىٰ النبي(ﷺ) الزواج من صفية نظراً الىٰ مكانتها وشخصيتها بين افراد قبيلتها مما أدىٰ الىٰ ايجاد نوع من الصلة بين النبي (ﷺ) وبين أكبر القبائل اليهودية عدداً أو أهمها خطراً [2].

وأمّا ميمونة فقد كانت هي الاخرىٰ من قبيلة « بني مخزوم » العربية

---

١ ـ الاصابة والاستيعاب: ص ٣٠٥، موسوعة آل النبي ص ٣٦٩ ـ ٣٧٤، سيرة ابن هشام: ج ١، ص ١٢٣ اعلام الورىٰ: ص ١٤٢.

٢ ـ موسوعة آل النبي (ص) ص ٣٤٥، اعلام الورىٰ: ص ١٤٢.

الشهيرة بين القبائل العربية وكان النبيّ(ﷺ) قد تزوّج بها عام سبعة للهجرة[١].

إذن يتضح لنا من كل ذلك أن نساء النبي (ﷺ) ماعدا عائشة كنّ من الأرملات وأنّ أكثرهن قد تخطيّن سن الشباب والنضارة والفتوة وفي هذا أكبر دليل علىٰ أن تعدد أزواج النبي (ﷺ) كان في واقعه لأجل مصالح وأهداف مقدسة، وغايات نبيلة، مما لايدع مجالاً أبداً لإلصاق تهم التهور الجنسي، واستعار الشهوة بشخصية أعظم رجل عرفته البشرية وهو الرسول الكريم محمّد (ﷺ).

١ - بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٠٣، سيرة ابن هشام: ج ٤ و ٤، ص ٣٧٢.

شخصية الرسول الاعظم
محمد (ص) قبل البعثة

غريزة التقليد والمماشاة :

يعتقد علماء النفس أن المجتمع (البيئة، المحيط) هو الذي يكوّن ويوجد أساس الشخصية في الافراد ويولد لديهم طريقة تفكرهم، ونوعية تصوراتهم، وأنّ غريزة (التوافق والمماشاة) تجرهم الىٰ ان يقتفوا أثر المجتمع في أفكاره وسلوكه .

وإن كان البعض من هؤلاء قد أفرط في هذه النظرية واعتبرها قاعدة كلية عامة وغير قابلة للاستثناء ففسروا جميع الظواهر الاجتماعية علىٰ أساسها، إلاّ أننا لا يمكننا إلاّ أن نسلم بأن للمجتمع تأثيراً في روحية الأفراد ونمط تفكيرهم لهذا نجد أن مجتمع الفضيلة والتقوىٰ يربّي ويوجد النماذج الصالحة المتقية كما أن المجتمع الفاسد المنحرف يجر أفراده الىٰ هاوية الفساد والضلال، ولهذا ندرك أن الذين يستطيعون أن يشقّوا طريقهم بعيداً عن خط سير المجتمع المنحرف ومن دون أن يتأثروا بمفاسده وأهوائه يعتبرون أناساً غير عاديين .

مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام

كان العالم كله والجزيرة العربية بشكل خاص غارقاً في بحار الجهل والفوضىٰ وكانت عامة العرب تحترق بنار الفساد والخرافات، وسحب الجهل السوداء قد حوّلت آفاق الحياة العربية الىٰ ظلام حالك، وجعلت أيامهم قاسية مريرة، يغمرها الشقاء والبؤس والاضطراب فما أكثر الأموال التي راحت من جراء غارات النهب والسلب وما أكثر الدماء التي أريقت

ظلماً وعدواناً .

وكانت الأوهام والخيالات الفاسدة والامتيازات الطبقية قد سيطرت علىٰ المجتمع وتحكمت فيه وأحكمت قبضتها عليه، والشيء الوحيد الذي لم يكن له وجود في مجتمعهم هو القانون والعدالة .

الأغنياء القساة الجفاة يمتصون دماء الضعفاء ويأكلون مال اليتامىٰ ظلماً، ويستثمرون الطبقة الفقيرة الكادحة أبشع استثمار، ويتيهون بعد ذلك كلّه في عالم التكبر والخيلاء والعظمة، ويتقلبون في أحضان الذهب والفضة، ويتنعمون بحياة البذخ واللهو والإسراف علىٰ حساب اولئك المحرومين .

وكان نهجهم في المعاملة والتجارة باطلاً وفاسداً الىٰ حد كبير، وكان كل من الزوجين، مسئولاً عن وفاء دين صاحبه فاذا عجزت المرأة عن دفع دينها وعجز زوجها عن أدائه عنها حبس الدائن زوجها حتىٰ يفيه حقه[1] .

وبدلاً من أن يحصلوا علىٰ كمالهم بأنفسهم ويتخذوا من تحصيل العلوم مفخراً لهم، كانوا يتكلون علىٰ أمجاد آبائهم وأسرهم وقبائلهم، وقد يصل بهم الأمر اذا أرادوا الفخر بكثرة عددهم أن يذهبوا الىٰ المقابر لإحصاء قبور موتاهم لتكون شهادة إثبات علىٰ أنهم اكثر عدداً من قبيلة اخرىٰ منافسة لهم .

كانت معاقرة الخمرة وارتكاب الزنا وممارسة الأعمال الشهوانية، وسفك الدماء البريئة، قد أصبحت من أعمالهم اليومية المألوفة، ولايشعرون حيالها بأي نوع من الحياء والخجل .

فهذا (أمرؤ القيس) الشاعر العربي المشهور يذكر في شعره (من معلقته الشهيرة : قفا نبك ....) من دون تردد أو خجل غرامياته الفاضحة مع ابنة عمه (عنيزة) وعشقه لها، واتصالاته بها واختلائه معها . والأعجب من ذلك أنهم عدّوا شعره هذا من النماذج الرفيعة في الأدب العربي فاستحق

---

١ - دائرة المعارف لفريد وجدي : ج ٦، ص ٢٥٠ .

بذلك أن يعلق علىٰ جدران الكعبة الشريفة [١].

هذه صورة مختصرة عن الحالة العامة ـ خلقياً وسلوكياً ـ في ذلك المجتمع الذي شعّ نور الإسلام في آفاقه المظلمه .

ومن البديهي أن الانسان الذي لايتلوّن بصبغة هذه البيئة ولايتلوث بأنجاسها، يعتبر ذا شخصية ملكوتية مُتميزة، وأنه يستحق بذلك قيادة الإنسانية وخلاصها من مشاكلها وأوضاعها البائسة .

الأنبياء قادة المجتمعات لا أتباعها

في الوقت الذي كان عامة الناس يتجهون صوب الأصنام، كان محمّد(ﷺ) الذي لم يتلق درساً من أحد يتجه وحده صوب غار «حراء» وهناك يقف خاشعاً متضرعاً وهو يتأمل في الكون وما أبدع فيه الخالق عزوجل من روائع تتجلىٰ فيها عظمته وقدرته .

كان محمّد (ﷺ) الذي أحاطه اللّه تعالىٰ برعايته وعنايته قد ميّز طريق الحق المستقيم ومشىٰ فيه بكل ثبات واطمئنان ومن دون ترديد واضطراب وقد بدأ خطواته الأُولىٰ في وجه أفكار قومه وعاداتهم الخاطئة وتقاليدهم البالية .

إنه (ﷺ) لم يكن رافضاً لعبادة الأصنام ـ ولو للحظة واحدة من عمره الشريف ـ فحسب وإنما كان لا يطيق حتىٰ سماع أسماءها كما مرّ عليكم في السابق وذلك حينما كان في الثانية عشرة من عمره المبارك والتقىٰ ببحيرا الراهب فأقسم عليه هذا بحق اللات والعزىٰ أن يجيبه علىٰ أسئلته، فأجابه النبي (ﷺ) غاضباً لا تسألني باللات والعزىٰ فواللّه ما أبغضت كبغضهما شيئاً قط [٢] .

وقد كانت عظمته (ﷺ) وطهارته وعفته حديث الناس في المجامع والمجالس الخاصة منها والعامة . كما منحه صدقه وأمانته واخلاصه لقب

---

١ - شرح المعلقات السبع للزوزني : ص ٣ . ٢ - اعلام الورىٰ : ص ١٨ .

(الأمين) الذي لازمه واشتهر به، ولقد كانت هذه الصفة المحبّبة هي التي دعت خديجة (رضي اللّه عنها) أن تختاره ليتجر بأموالها .

ان أخلاق محمّد (ﷺ) وسلوكه وتعامله مع الناس بلغت حداً من الرفعة والسموّ بحيث استطاع بها أن يدخل قلوب الناس ويجتذبهم اليه . فعن عمار بن ياسر أنه قال : كنت راعياً مع محمّد (ﷺ) قبل البعثة فاقترحت عليه يوماً أن نذهب بأغنامنا في اليوم التالي الىٰ مرعىٰ « فخ » فوجدت محمّداً (ﷺ) قد سبقني الىٰ المرعىٰ إلاّ أنه كان يمنع أغنامه من الرعي، ولما سألته لماذا تمنعها عن الرعي ؟ أجاب (ﷺ) : « إني كنت واعدتك فكرهت أن أرعىٰ قبلك »[1] .

وهكذا كان محمّد (ﷺ) قد اختط لنفسه خطاً غير خط قومه، ولم يتأثر بعادات قومه وسننهم، بل كان يحث الخطىٰ في طريق الكمال حتىٰ وصل أرفع درجاته تعينه علىٰ ذلك يد الغيب التي كانت ترعاه وتحافظ عليه وتصنعه علىٰ عينها .

لهذه الأُمور وغيرها كان الناس يكنّون له احتراماً فائقاً، ويستعينون برأيه في كثير من المشكلات .

حكم النبي محمّد (ﷺ) بين قريش في وضع الحجر الأسود

كان محمّد (ﷺ) في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وترميم بنائها السابق ولما كانت قبائل قريش المتعددّة تريد اقتسام هذه الفخر ببناء الكعبة، لذا فقد جزأته وجعلت لكل قبيلة قسماً منه .

وقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم وهو يقول : اللهم إنا لانريد إلا الخير ثم تابعه الناس وأعانوه . حتىٰ انتهىٰ الهدم بهم الىٰ الأساس الذي بناه

---

١ - بحار الأنوار : ج ١٦، ص ٢٢٤ .

ابراهيم (عليه السلام) وهنا بدأت كل قبيلة ببناء قسم من البيت حتىٰ بلغ البنيان موضع « الحجر الأسود » فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه الىٰ موضعه دون الأُخرىٰ لتفتخر بذلك علىٰ سائر القبائل، وقد اتسع الخلاف حتىٰ أنهم استعدّوا للقتال فقرّبت « بنو عبد الدار » جفنة مملوّة دماً، ثم تعاقدوا هم و « بنو عدي بن كعب » علىٰ الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم علامة علىٰ التصميم علىٰ القتال والموت.

وقد استمر هذا الخلاف الوحشي أربع ليال أو خمساً، ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا فقال لم أبو أُمية بن المغيرة وكان أكبر قريش سناً « يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه » فقبلوا اقتراحه وانتظروا أوّل من يدخل، فكان أول داخل عليهم هو رسول اللّه محمّد (ﷺ) فلمّا رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمّد فلما وصل اليهم وأخبروه الخبر، قال (ﷺ) هلمّ إليّ ثوباً، فأتىٰ به، فأخذ الركن (الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال(ﷺ) : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتىٰ اذا بلغوا به موضعه أخذه ووضعه هو بيده حسماً للنزاع ثم بنىٰ عليه[1].

وهكذا استطاع (ﷺ) بحكمته وحسن تدبيره أن يجنب قريشاً فتنة خطيرة، كان من الممكن ان تؤدي الىٰ سفك دماء كثيرة وتجرّ عليهم ويلات ومصائب عظيمة.

وقد أوضحت هذه القضية بشكل جليّ الشخصية الاجتماعية العظمية للنبي محمّد (ﷺ) كما أنها بيّنت بعض جوانب العظمة في آرائه الصائبة ونظراته الحكيمة.

وبهذا يعلم أنه (ﷺ) كان أهلاً وكفواً لمقام النبوة ورفع راية الإصلاح السماوي المقدس.

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٨ ط مصر ١٣٧٥.

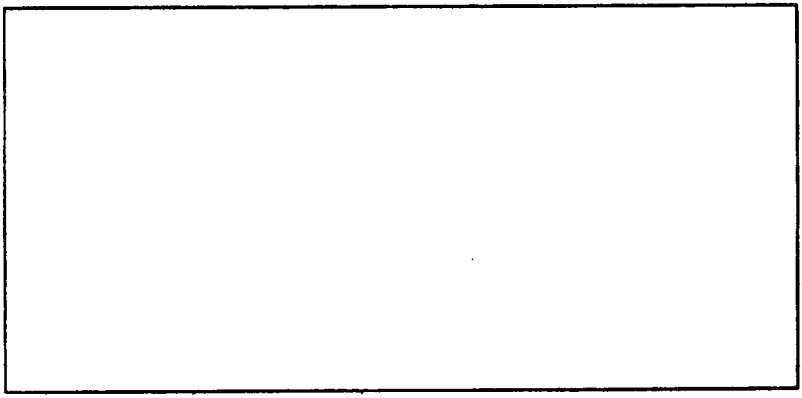

بداية الوحى

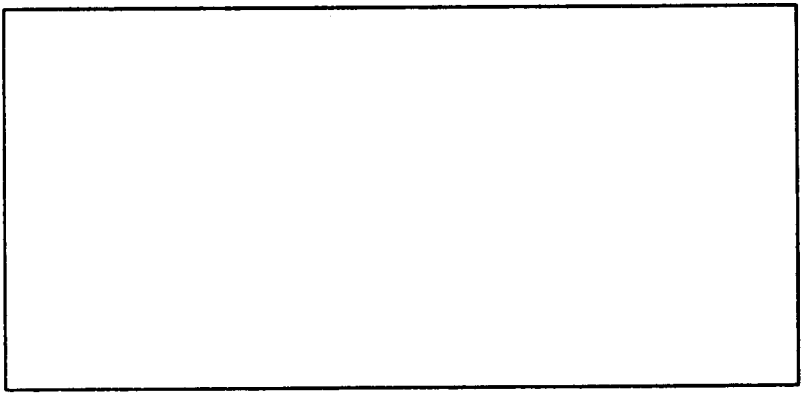

رسالة محمّد (ﷺ) العالمية

استطعنا في المقالات السابقة ان نتصفح بعض الأوراق والصفحات من حياة الرسول الأعظم محمّد (ﷺ) وقرأنا فيها لمحة ونموذجاً من حياته المليئة بأسمىٰ معاني السمو والرفعة والجلال والعظمة .

ولنبدأ الآن باستعراض أشد المراحل حساسية في حياته المقدسة .

عاش محمد (ﷺ) أربعين سنة في مجتمع تتحكم فيه الفوضىٰ والقلق ولاتبدو فيه للناظر أي آثار جلية أو معالم واضحة للحضارة والتمدن وكانت هذه الحالة المضطربة مؤلمة لنفس الرسول (ﷺ) الشريفة إذ كان (ﷺ) لا يرىٰ في مجتمعه المتدهور غير ظلمات الجهل والضلال .

فإذا ذهب الىٰ الكعبة ـ بيت التوحيد ومأوىٰ الموحدين ـ طالعته مناظر مؤلمة من عبادة الأصنام والاستكانة لها، بدلاً من أن يشاهد هناك ـ كما هو المفروض في مثل هذا المكان المقدّس ـ علامات التوحيد وعبادة اللّه الواحد الأحد .

وإذا ترك الكعبة وذهب ليتوغل في أوساط الناس واجهته حالات ومناظر أليمة أُخرىٰ، فأفكار قومه الفاسدة وعاداتهم السخيفة كانت تغرقه في بحر من الأسىٰ والحزن .

وكانت آلام الفقراء وآهات المحرومين تؤلمه وتؤذيه وكم كان يشتد تأثره حينما يشاهد سقوط منزلة المرأة اجتماعياً الىٰ أسوأ مايتصور من السقوط هذا بالإضافة الىٰ ما يشاهده من آثار القمار والخمر والقتل والجريمة ومظاهر الفساد الأُخرىٰ التي شاعت وخيّمت بظلالها السوداء

علىٰ مجتمعه البائس .

كان محمّد (ﷺ) يبتعد في بعض الأوقات عن ذلك المجتمع الأسود المظلم، ويلتجيء الىٰ غار «حراء» ليريح نفسه قليلاً ويتخلص من جوّ قومه الخانق الثقيل وليشتغل في ذلك المكان المنعزل الهادئ بعبادة ربه ومناجاته وكان ينظر من قلله الىٰ آثار رحمة اللّه والىٰ أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته ... فيعتبر بتلك الآثار ويتذكر بتلك الآيات ويعبد اللّه حق عبادته [١] .

محمّد (ﷺ) في سن الأربعين

بلغ محمّد (ﷺ) الأربعين وقد صار مهيأ لأداء رسالته السماوية العالمية [٢] .

وفي أحد الأيام وبينما كان يتعبد في غار « حراء » إذ احسّ فجأة بنور يملأ آفاق نفسه وروحه وبحرارة عجيبة تغمر وجوده . وبينما هو كذلك وإذا بجبرئيل (عليه السلام) ـ ملك الوحي ـ يبشره بالنبوة والرسالة ؛ ويقول له « **إقرَأ**» وبقي النبي (ﷺ) عدّة لحظات مستغرقاً في حالته الروحية الملكوتية ثم أجال بطرفه فيما حوله واذا به يسمع ذلك الصوت السابق مرة ثانية ومرة ثالثة [٣] بصورة واضحة جلية يقول له « **إقرأ** » .

وهو (ﷺ) يتابع مع جبرئيل (عليه السلام) ويقرأ ﴿ **إقرأ باسم رَبّكَ الّذي خَلَقَ، خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ، إقرأ وَرَبُّكَ الأكرَمُ الّذي عَلَّمَ بالقَلمِ، عَلَّمَ الإنسانَ مَالَمْ يَعْلَمْ** ﴾[٤] .

وبدأ محمّد (ﷺ) وكأن حرارة ونشاطاً عجيبين قد غمرا وجوده كلّه وكيف لا يكون كذلك وهو الآن قد ارتبط بعالم أكبر وأعلىٰ وأعظم ... مع

---

١ - بحار الأنوار : ج ١٨، ص ٢٠٦ . ٢ - مناقب : ج ١، ص ٤٠ .

٣ - مستفاد من كامل التواريخ : ج ٢، ص ٤٨ ـ تاريخ الطبري : ج ٣، ص ١١٤٨، ١١٥٠ .

٤ - سورة العلق : ١ ـ ٥، ويعتقد كبار المفسرين أن سورة العلق هي أوّل سورة نزلت علىٰ النبي محمّد (صلىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) .

الملائكة ... مع جبرئيل ... مع الملكوت الأعلىٰ ... وهكذا استندت روحه الشريفة الىٰ ركن وثيق وسند عظيم .

لقد رأىٰ في نفسه (ﷺ) قوة النبوة، ولم يكن للقلق والاضطراب أيّ مفهوم في قاموس وجوده وكيانه ... بل كان مغموراً بالهدوء والاطمئنان .

هل كان محمّد (ﷺ) يمرّ في غار (حراء) بمرحلة دراسية و تعليمية ؟

هذا السؤال قد أجاب عليه بعض المستشرقين والكتاب الغربيين بالإيجاب وقالوا : إن محمّداً (ﷺ) كان يطالع هناك الانجيل والتوراة وتعليمات الأنبياء السابقين وشرائعهم، ويستغرق متأملاً في كل ذلك وأنه كان يجد لذة عميقة في هذا العمل [1] .

ومن الواضح أن معنىٰ هذا الكلام هو أن محمّداً (ﷺ) كان رجلاً قد « كوّن نفسه بنفسه » وأنه قد جاء بدين الإسلام واخترعه من نفسه بعد مطالعته في التوراة والإنجيل والشرائع السابقة .

ولكن هناك شواهد وأدلة كثيرة تفنّد هذا المدعىٰ الباطل ونحن نشير الىٰ بعضها .

١ ـ لو كان نبي الإسلام محمّد (ﷺ) قد أخذ القرآن من التوراة والإنجيل وغيرهما، لكان يجب أن تتشابه المطالب والأفكار التي جاءت في القرآن مع ما في كتب العهدين .

هذا في الوقت الذي نجد بين القرآن وبينهما تفاوتاً شديداً واختلافاً أساسياً .

٢ ـ إنّ آيات القرآن الكريم في بلاغتها وفصاحتها وكيفيّة تركيبها المحير المدهش ... جعلت كبار الأدباء والبلغاء في عصر نزول القرآن وفي العصور المتأخرة عنه يقفون أمام عظمة القرآن مدهوشين، ومعترفين بتفوقه وإعجازه . وهذا الأمر بنفسه ولوحده يثبت أنّ محمّداً (ﷺ) كان مرتبطاً

---

١ ـ كتاب « الاعتذار الىٰ محمّد والقرآن » الترجمة الفارسية : ص ١٩ .

وبصورة مباشرة بمبدأ العالم ـ باللّه تعالىٰ ـ وليس من شكّ في أن هذه الآيات بكلماتها وتركيبها المعجز لم تكن وليست موجودة في أي كتاب آخر ليقتبس النبي(ﷺ) منه ذلك .

٣ ـ إنّ هذه الدعوىٰ لا أساس لها، ولا تستند الىٰ أي مصدر معتبر واصيل وانما هي عبارة عن شائعة وأسطورة اختلقها آباء الكنيسة المسيحية وبعض المستشرقين الحاقدين .

٤ ـ لو كان القرآن ـ كما يدّعون ـ قد أُلف وكتب اعتماداً علىٰ مطالعة « العهدين » لسهل كثيراً علىٰ أُولئك الذين كانوا يحاولون أن يأتوا بقرآن وآيات شبيهة بما في القرآن الكريم، الوصول الىٰ أهدافهم عن طريق مطالعة التوراة والانجيل اللذين هما في متناول أيديهم ولإستطاعوا بذلك أن يردّوا تحدّي القرآن بأنه لا يمكن أن يؤتىٰ بمثله أو بسورة من مثله .

٥ ـ من المسلم به ـ تاريخياً ـ إنّ نبي الإسلام محمّداً (ﷺ) كان أُمياً وأنه لم يمارس القراءة والكتابة قبل البعثة [1] .

وعلىٰ هذا فهل يمكن لعاقل أن يصدق بأن إنساناً لم يتلقّ درساً من أحد أبداً، وفي محيط بعيد عن العلم والمعرفه، وغارق في الجهل والأُمية ... يستطيع أن يأتي بمثل هذا الكتاب المملوء بالمعارف والحقائق ؟

إننا نسأل هؤلاء المتحاملين علىٰ الإسلام المفترين علىٰ نبيّه : كيف كان النبي الأُمي يطالع ويستفيد من التوراة والانجيل ؟ وكيف استطاع أن يخبر في القرآن الكريم بكثير من الأُمور الغيبية والأخبار الماضية بالإضافة الىٰ أنباء المستقبل ؟

ما هو الوحي ؟

لاشك أن بين اللّه تعالىٰ وبين الأنبياء عليهم السلام ارتباطاً بنوع من الأنواع وأنهم بذلك كانوا يتلقون الحقائق من مبدأ العالم وخالقه وأن سبب هذا

---

١ ـ كتاب « الاعتذار الىٰ محمّد والقرآن » الترجمة الفارسية : ص ١١٨ .

الارتباط لم يكن إلا تكامل نفوس هؤلاء الأنبياء عليهم السلام وقوة روحيّاتهم وبلوغهم أسمىٰ وأعلىٰ المراتب الإنسانية .

ومما ينبغي الالتفات إليه هو أنّ الارتباط باللّه تعالىٰ لو سلب من الأنبياء عليهم السلام لما بقي لهم أي شيء من الكرامة والمنزلة إذ أن كل ما يملكون من قدسية ومن مقام رفيع إنما هو ناشيء من قابليّتهم وأهلّيتهم للارتباط بمبدأ العالم « اللّه تعالىٰ » ولذا فإن كل ماكانوا يقولونه ويبلغونه لم يكن فيه اي ابهام وغموض لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين ماهيته ومصدره ومنبعه، وهذا بخلاف ما يسمونه بـ«الكشف» الذي يدّعيه البعض إثر قيامه ببعض الأعمال والرياضيات النفسانية والذي إن حصل فإن صاحبه ليس علىٰ علم بمصدره وموحيه بل انه غالباً يكون هذا الكشف المدّعىٰ نتيجة ظنون وحدس وخيال وما أكثر مايكون ذلك مخالفاً للواقع .

والواقع أن امتياز الأنبياء عليهم السلام عن هؤلاء المدّعين للكشف واضح لايحتاج الىٰ بيان فكل مايراه ويقوله رسل اللّه سبحانه وتعالىٰ ليس فيه غموض ولاطريق لعلامات الاستفهام اليه وعلىٰ هذا فقد عرفنا أن الوحي هو ارتباط بين اللّه سبحانه وتعالىٰ وأنبيائه وهذا الارتباط قد يحدث بواسطة ملك الوحي جبرئيل (عليه السلام) أحياناً ومن دون واسطة أحياناً أُخرىٰ .

هل الوحي نوع من المرض ؟

يزعم بعض الكتّاب الغربيين الذي لانشك في كونهم مغرضين وحاقدين أن نزول الوحي علىٰ نبينا محمّد (ﷺ) لم يكن سوىٰ نوع من المرض يسمىٰ بـ(الهستيريا) [1] أو (الصرع) ولكن هذه التهمة ـ من حسن الحظ ـ واهية الأساس الىٰ درجة لا نرىٰ حاجة معها الىٰ شرح وبيان إذ أن هذا المرض تصاحبه دائماً أعراض وحالات معينة لانجد لها وجوداً في حالات النبي محمّد (ﷺ) .

---

١ ـ الهستريا (Hystiria) نوع من الأمراض الروحيّة العصبية .

يقول « جان ديون بورت » : « إنّ المزاعم التي يطلقها البعض بأن محمّداً (ﷺ) كانت تنتابه حالات «الصرع» هي في الواقع من الأقوال الواهية التي لا تستند الىٰ أي أساس ودليل وأنها جزء من المحاولات التي قام بها بعض اليونانيين المغرضين ليحولوا بواسطة هذه التهمة بين الناس وبين التأثر والاعتقاد بدعوة النبي (ﷺ) الجديدة ولكي ينفروا العالم المسيحي من شخصية النبي محمّد(ﷺ) وينظروا اليه من خلال هذه التهمة التي لا تدع مجالاً للاعتماد عليه والإعجاب بشخصيته ومكانته الخلقية والنفسية [1] وأننا إنما نقول ببطلان هذه الفرية لأن أحداً لم يشاهد في الرّسول الأعظم محمّد (ﷺ) حالات الاضطراب والصراخ والعويل الذي يعتري الشخص المبتلي بمرض (الهستيريا) لم يشاهد ذلك في أشد حالات الوحي ونزوله، علىٰ النبي (ﷺ) .

وكذلك فإن الشخص المصاب بالهستيريا حينما تزول منه هذه الحالة ويرجع الىٰ حالته الطبيعية لا يتذكر أي شيء مما رآه أو سمعه في تلك الحالة وهذه الحالة علىٰ عكس ماكان يشاهد من النبي (ﷺ) اذ أنه كان لايتكلم أثناء نزول الوحي عليه، وعندما ينجلي عنه كان يبدأ بالحديث عمّا أوحي اليه وما سمعه أو رآه . هذاكله بالإضافة الىٰ أن كلام المصاب «بالهستيريا» يكون مرتبطاً في الغالب بما تخلقه وتصوره له أعصابه المحطمة من أوهام وخيالات مثل أن يرىٰ صوراً مخوفة وموحشة تؤذيه وتهدده بالقتل فتكون في هذه الحالة كلماته تدور حول هذا الموضوع ولكن لم يجد أي شخص الىٰ الان أن مصاباً بالهستيريا يكون كلامه وحديثه مشتملاً علىٰ العلوم والقوانين الصحيحة والتعاليم الهادية كقوانين الإسلام التي لم يستطع إنسان الىٰ الان وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان أن يتحداه ويوجد فيها نقطة ضعف أو خلاف للطبيعة والفطرة البشرية .

---

١ - كتاب « الاعتذار الىٰ محمّد والقرآن » : ص ٢٠ .

الوحي وعلم اليوم

إنّ التقدم والاكتشافات العلمية التي ظهرت في عالم اليوم لم تؤثر في مكانة الإسلام وتقلل من قيمته خلافاً لما يتصوره البعض، وإنما أيدت وقوت من مركزه الوطيد ودعمت أسسه ومبانيه فظهور واكتشاف الرادار واللاسلكي والإشارات التلفونية، كل هذه الأمور أثبتت ان موضوع الوحي لا يتعارض ابداً مع نواميس الطبيعة وأسرار الخلقة . ذلك أن اللّه الذي جعل وسائل المواصلات والارتباطات هذه في خدمة البشر لاشك أنه يستطيع أن يوجد رابطة ووسيلة خاصة بينه وبين سفرائه في خلقه ـ أي الأنبياء عليهم السلام ـ وان كانت لاتقاس بهذه المخترعات البشريّة .

ومن ناحية أُخرىٰ فإن ظهور بعض العلوم وتوسعها مثل «إحضار الأرواح» و «التنويم المغناطيسي» و «انتقال الأفكار» و «التأثير الروحي» كل هذه العلوم أوضحت بما لايدع مجالاً للشك بأن حقائق العالم لاتنحصر في إطار المحسوسات .

وأخيراً فإن العلم والتاريخ يشهدان بأن نبيّ الإسلام (ﷺ) هو المختار والمنتخب من اللّه تعالىٰ لهداية البشر وإرشادهم وإنقاذهم من الضلالة والانحراف وإخراجهم من ظلمات الجهل والفساد وأنّ كل هذه الأفكار السامية والبرامج الحياتية الراقية إنما وصلته من طريق الوحي .

إن العالم الإسلامي يفتخر بقائده العظيم الرسول محمّد(ﷺ) لأن رسالته الإسلامية لم تكن مصدر سعادة وحياة لعالمه وعصره فحسب وإنما تعتبر منذ ١٤ قرناً خير مرشدٍ وهادٍ للعالم المتمدن اليوم وستبقىٰ كذلك الىٰ يوم القيامة .

وأن علماء العالم ومفكريه صاروا يدركون أكثر فأكثر عظمة الإسلام وعمق رؤيته ودقة نظرته وصلاح قوانينه .

طريقة النبي (ص)
فى تبليغ رسالته

طريقة النبيّ (ﷺ)

حينما نزل النبيّ محمّد (ﷺ) من جبل (حراء) متوجهاً الىٰ بيته، كان يرىٰ نفسه في عالم آخر، إذ أنه قبل أن يذهب الىٰ الجبل لم يكن نبياً، أمّا الآن فقد ارتبط بمبدأ العالم وخالقه، وتحققت تلكم النبوّات والبشارات التي بشره بها « بحيرا » وغيره من الرهبان والعارفين، وعلم الآن أنّ مسؤولية خطيرة قد جعلت علىٰ عاتقه وعليه أن يتحملها ويقوم بها. وهكذا كان يفكر في أطراف هذه المسؤولية وعواقبها ومقتضياتها وإن قيل أنه كان حينذاك قلقاً مضطرباً، فانما كان لأجل هذه المسؤولية وثقلها، لا لأجل أنه لم يكن يعلم أنه صار نبياً أم لا، أو كان يخشىٰ أنه قد أصيب بسحر أو جنة فالحقيقة أن كل هذه الأوهام لم تجد طريقاً الىٰ قلب محمّد (ﷺ) ابداً، إذ أن البشائر والنبوّات السابقة التي كان قد سمعها من أفراد متعددّين، ورؤيته لجبرئيل عليه السلام الذي بشره وقال له « يامحمّد أنت رسول الله »[1]، هذه الأُمور كلها كانت كافية ليقطع بأنه نبيّ هذه الأُمة. هذا بالإضافة الىٰ أن الله تعالىٰ حينما ينتخب نبيّاً لهداية الناس فلابد أن يريه من الآيات والبراهين الساطعة مايجعله يتيقّن ويطمئن الىٰ أنه مرسل من قبل الله تعالىٰ لكي يستطيع هذا النبيّ المرسل أن يسعى في طريق

---

١ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٣٧.

الإصلاح والهداية بقلب مطمئنّ وعزم راسخ وإيمان قوي ثابت . وبناء علىٰ هذا نفهم كم يكون الادعاء باطلاً ومن دون تحقيق حين يقال « إن محمّداً لم يعلم أنه قد صار نبياً بعد لقائه الأول مع جبرئيل عليه السلام في الغار، وأنه كان قلقاً مضطرباً . وأفضىٰ بمخاوفه الىٰ خديجة عليها السلام أن يكون قد صار كاهناً أو تكون به جُنّة، الىٰ أن طمأنته خديجة وبشرته بأنه سيكون نبيّ هذه الأُمة [١] .

خديجة في انتظار محمّد (صلى الله عليه وآله)

إنّ ما حد ث يوم البعثة من نزول الوحي علىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) في الغار... أوجب أن يتأخر محمّد (صلى الله عليه وآله) في الرجوع الىٰ البيت، وقد قلقت خديجة عليها السلام حينما استبطأته، وارسلت من يلتمسه في الغار إلاّ أنه لم يجده، وفجأة رأت محمّداً (صلى الله عليه وآله) يدخل عليها البيت وآثار التغيّر بادية عليه، فسألته عن سبب تأخره في المجيء فأجابها (صلى الله عليه وآله) وأخبرها عمّا جرىٰ له في ذلك اليوم . وكانت خديجة عليها السلام منذ مدّة طويلة تنتظر مثل هذا اليوم، ذلك أنها سمعت غلامها « ميسرة » ذات مرة وهو يحدثها عن مقالة الراهب النصراني في حقّ محمّد (صلى الله عليه وآله) وهما في طريق الشام إذ قال له «إنّ هذا نبيّ هذه الأُمة » [٢] كما أنها كانت قد تلقّت بشارات من بعض علماء اليهود والنصارىٰ الذين أكدوا أنه سيكون له شأن عظيم .

لهذا كله قامت خديجة عليها السلام وانطلقت الىٰ ابن عمها «ورقة بن نوفل» الذي كان مسيحياً قد قرأ الكتب وسمع من أهلها، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومارآه وسمعه، فقال ورقة : «والذي نفس ورقة بيده لقد جاء الناموس الأكبر (أي جبرئيل عليه السلام) الذي كان يأتي موسىٰ، وأنه لنبي

---

١ - حياة محمّد (ص) لهيكل : ص ١٣٤ . ٢ - اعلام الورىٰ : ص ٤٧ .

هذه الأُمة [١].

ورجعت خديجة عليها السلام من عنده وبعد أسئلة قصيرة طرحتها علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) واستفسار عن رسالته الجديدة أسلمت علىٰ يده (صلى الله عليه وآله وسلم) وآمنت به وصدقت بما جاءه من الله، وبهذا حازت قصب السبق والفخر فكانت أوّل من أسلم من النساء [٢].

عليّ (عليه السلام) أوّل من أسلم من الرّجال

أصيبت قريش في احدىٰ السنين بأزمة قحط شديدة، وكان أبو طالب عليه السلام ذا عيال كثير، ومال قليل، مما دعىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأخذ «علياً عليه السلام» الىٰ بيته ليخفف بذلك عن عمه أبي طالب عليه السلام [٣]، ومنذ ذلك الوقت والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كالأب الحاني المحب يحرص علىٰ تربيته وتنشئته بأحسن وجه ولأن علياً (عليه السلام) كان يعيش في بيت محمّد (عليه السلام) فقد كان أكثر من غيره تعرفاً علىٰ خصوصيات النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الاخلاقية وفضائله وصدقه. ولذا فقد سارع الىٰ الايمان بنبوة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بصيرة كاملة في أمره وهو في العاشرة من عمره، وبهذا حاز هو الآخر قصب السبق من الرجال فكان أول رجل آمن بالله ورسوله [٤]

تشريع الصلاة

كانت الصلاة أوّل الواجبات التي فرضها الله تعالىٰ علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، بعد الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده، ومن هنا يتضح مدىٰ

---

١ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٣٨. ٢ - المناقب: ج ١، ص ٤٢.
٣ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٤٦، بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٠٨.
٤ - سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٢٤٥، بحار الأنوار: ج ١٨، ص ١٨٨، الغدير: ج ٣، ص ٢١٩ - ٢٤١، تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١١٦٠.

أهمية وعظمة الصلاة باعتبارها ركيزة الارتباط بين الانسان وخالقه، والمعبرة عن شكر الله تعالىٰ علىٰ نعمه التي لاتحصىٰ ولهذا أكد قادة الإسلام والرسول الأعظم علىٰ الخصوص في وصاياهم علىٰ أهمية الصلاة ومنزلتها فقد جاء في الحديث : « **الصلاة عمود الدين**» [١] وورد كذلك عن الائمة الاطهار (عليهم السلام) « **لاينال شفاعتنا من استخف بالصلاة** » [٢].

وعلىٰ أي حال فقد أوحى الله تعالىٰ الىٰ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بواسطة جبرئيل عليه السلام كيفية الصلاة وشرائطها وقد علمها النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجة عليها السلام وعلياً عليه السلام، وأقاموا معاً الصلاة جماعة يؤمهما النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) [٣].

ثلاث سنوات من التبليغ العملي

بدأ نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته السرية أول الأمر وذلك لمدة ثلاث سنين ، ذلك أن أرضية الجزيرة العربية بشكل عام ومكة وأطرافها خاصة لم تكن مهيأة لتقبل الدعوة العلنية للاسلام وهم الذين قضوا السنين الطويلة في عبادة الاصنام والشرك بالله تعالىٰ، ولو كان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أعلن دعوته بادىء الأمر لواجهته مشاكل وعقبات صعبة تحول بينه وبين هدفه الأساسي المقدّس ، ولهذا كان النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) يقف علىٰ مرأىٰ من المشركين الذين كانوا يعبدون آلهة متعددة... ليقيم الصلاة التي هي عبارة عن مجموعة من المعارف المعنوية والتي تعبر عن الشكر والثناء والدعاء لله الخالق الواحد الأحد .

لقد كان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه علي (عليه السلام) وخديجة عليها السلام يذهبون الىٰ

---

١ - وسائل الشيعة : ج ٣، ص ١٦ ـ ١٧ . ٢ - وسائل الشيعة : ج ٣، ص ١٦ .

٣ - اعلام الورىٰ : ص ٣٧، جامع أحاديث الشيعة : ج ٢، ص ٣١، والمعلوم أن الصلاة حينئذ كانت ركعتين فقط لكل وقت من الأوقات الخمسة .

مناطق تجمع الناس «كالمسجد الحرام» و «منىٰ» ويقيمون الصلاة جماعة أمام الآخرين، وكان هذا الأمر بمثابة أسلوب عملي في الدعوة الىٰ عبادة الله وحده[١].

يروىٰ عن عفيف أنه قال: «كنت امرأً تاجراً فقدمت أيام الحج وأتيت العباس بن عبد المطلب فبينا نحن عنده إذ أقبل شاب فرمىٰ ببصره الىٰ السماء ثم استقبل الكعبة وبدأ الصلاة فلم يلبث حتىٰ جاء غلام فوقف عن يمينه. ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فصلوا معاً، فقلت ياعباس ماهذا الدين الذي لا أدري ماهو؟

فقال العباس: إنّ هذا الشاب محمّد بن عبد الله(ﷺ) ويعتقد أن الله الذي خلق السماوات والارض قد أرسله لهداية الناس، وليس علىٰ هذا الدين اليوم غير هؤلاء الثلاثة وان هذه المرأة هي زوجته خديجة بنت خويلد، وهذا الغلام ابن عمه علي بن ابي طالب[٢] واستمر النبيّ محمّد(ﷺ) علىٰ هذه الحالة حتىٰ بدأ عدد المسلمين يتزايد يوماً فيوماً، وتوسعت دعوته علىٰ رغم مناهضة المشركين، ولذا فقد صدر الأمر من الله تعالىٰ لنبيه أن يعلن دعوته ويصدع بأمره لأن الأرضية للعمل الاسلامي العلني صارت معدّة ومهيأة.

دعوة الأقربين، وأوّل معجزة لمحمد ﷺ

لقد توفرت الأرضية المساعدة لإعلان الرسالة الاسلامية بعد أن استمر عدد المسلمين بالازدياد، وكانت المرحلة الأُولىٰ أن يدعو النبيّ (ﷺ) أقاربه وعشيرته الىٰ الإسلام، فنزلت عليه هذه الآية ﴿ **وأنذر عَشيرتك**

---

١ - اعلام الورىٰ: ص ٣٨، تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١١٦٢.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١١٢٢.

الأقربينَ ﴾ [١] وانما اختص أقاربه بالدعوة أول الأمر لسببين:

أولهما: لكي لا يقال لماذا لايدعو النبيّ (ﷺ) أهله وعشيرته الىٰ دينه الجديد ويذهب لانذار البعيدين عنه، فان كان في دعوته خير وسعادة فلماذا يحرم منها عشيرته وأقاربه ؟

وثانيهما: أنه كان بحاجة الىٰ حماية أكثر تساعده علىٰ المضي في نشر رسالته وتمنع عنه أذىٰ الجاهلين .

لهذا فان النبيّ (ﷺ) بعد نزول هذه الآية أمر علياً(عليه السلام) بأن يهيء طعاماً ويدعو اليه عشيرته الذين كان يبلغ عددهم حوالي أربعين نفراً.

فامتثل عليّ (عليه السلام) أمر النبيّ (ﷺ) وهيأ ما أراد ولما حضر الجميع جاء النبيّ (ﷺ) بمقدار من ذلك الطعام بحيث شبعوا بأجمعهم دون ان ينقص من الطعام شيء فتعجب الحاضرون واندهشوا لذلك، إلاّ أبو لهب الذي فض الاجتماع وقال « إنه عمل ساحر » قال هذه الكلمة غافلاً عن ان السحر لايمكن أن يشبع الانسان حقيقة وواقعاً، إذ لا يتعدىٰ السحر ان يكون أمراً وهمياً خيالياً .

وبهذا فإن النبيّ (ﷺ) لم يستطع ان يتكلم شيئاً في هذه المرة ولكنه كرر الدعوة لهم في اليوم التالي وأطعمهم بنفس الصورة السابقة وبعد ذلك قام فيهم خطيباً وقال : « يابني عبد المطلب، لقد أرسلني الله اليكم نذيراً وبشيراً، والله ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم اليه، فأيكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر، وأن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ فسكتوا جميعاً، إلاّ علياً فقد نهض وهو مايزال صبياً وقال « أنا يارسول الله عونك أنا حرب علىٰ من حاربت » فأجلسه النبيّ (ﷺ) وأعاد عليهم مقالته

---

١ - سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

ثلاث مرات وفي كل منها يقوم علي (عليه السلام) فقط وحينذاك أشار النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الىٰ علي (عليه السلام) وقال « **هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا** »[1].

وفي هذا اليوم بالذات أعلن عدد من الناس اسلامهم[2].

ولكن الجهل والتعصب لم يدعا ان يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كافة اقربائه وعشيرته، وإن لم يكن ذلك المجلس خالياً من الأثر بالنسبة الىٰ حماية النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) واسناده، وفي هذه القصة يتضح أمران : **أحدهما** : معجزة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ أنه أشبع أربعين نفراً بطعام قليل.

وثانيهما : أن الكلمات التي قالها النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقّ علي (عليه السلام) أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك والريب ان علياً (عليه السلام) هو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته بدون منازع، وأنه هو المعدّ لمواصلة قيادة الرسالة الاسلامية.

وهكذا تهيأت الظروف لانتقال الدعوة الاسلامية الىٰ المرحلة العلنية وبدأ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاده وواصله بروح لاتعرف التعب والكلل، فلم يتوان ساعة عن أداء رسالته المقدسة، وفي هذا الوقت بالذات بدأت راية الإسلام بالاهتزاز، وشرعت الحقيقة تتقدم الىٰ الأمام، يسطع نورها ويتلألأ ليكتسح الظلام.

---

١ - تاريخ الطبري : المجلد الثالث ص ١١٧١ ـ ١١٧٣ تفسير مجمع البيان المجلد السابع ص ٢٠٦، بحار الأنوار : المجلد الثامن عشر ص ١٩٢ وهذا الموضوع من الحقائق الثابتة التي يقبله المؤرخون الاسلاميون وغيرهم راجع الغدير المجلد الثاني ٢٧٨.

٢ - تاريخ اليعقوبي : المجلد الثاني ص ٢٢.

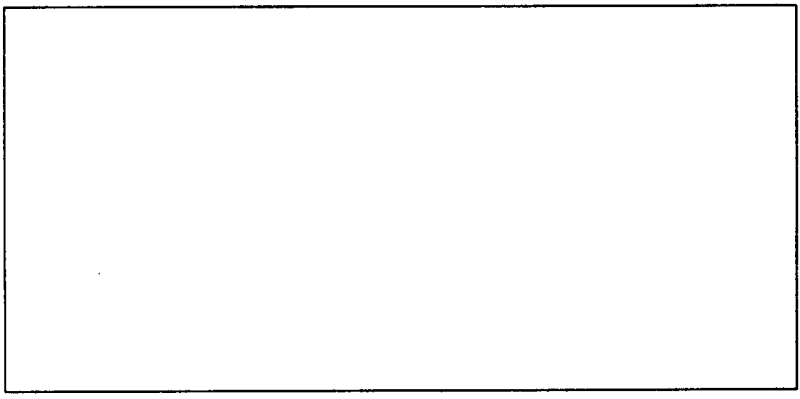

الدعوة العامة لمحمد (ص)

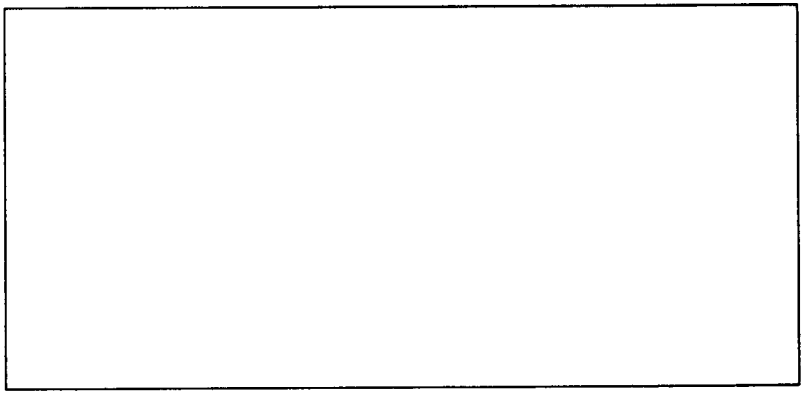

الدّعوة العامّة لمحمّد(ﷺ)

مرت ثلاث سنين علىٰ بعثة النبيّ (ﷺ) كان خلالها يدعو الناس الىٰ الإسلام بصورة سرية، ولايدخر وسعاً في سبيل انقاذ الناس الذين جرفتهم مفاسد الجاهلية، وتمرغوا في أوحال الشرك والضلال، وكان الحب والحنان، والرأفة، والمنطق الجذاب هو الطريق، وهو السلاح الذي بواسطته يدخل الىٰ قلوب الناس، ويجتذبهم الىٰ التوحيد وعبادة الله وحده ...[1].

ولكن هذه المرحلة السرية لم تدم، ذلك ان الإسلام رسالة عالمية ولابد أن تصل الىٰ مسامع جميع الناس ﴿ **وَما أرسلناكَ إلّا رَحمةً للعالمينَ** ﴾ ولهذا كان لابد أن يظهر الدعوة ويعلن الأهداف التي جاءت لأجلها رسالته السماوية .

نداء محمّد (ﷺ) علىٰ الصفا

بعد أن أمر الله نبيه (ﷺ) أن يصدع بدعوته ويعلنها الىٰ الناس وينشرها بين القبائل جمعاء، امتثل النبيّ (ﷺ) هذا الأمر وأراد أن يبين حقيقة دعوته علىٰ الملأ، فتوجه الىٰ جبل «الصفا» ليخاطب الناس من

---

١ - السيرة لابن هشام : ج ١، ص ٢٦٢، تاريخ اليعقوبي : ج ٢، ص ١٩ .

ذلك المرتفع، ووقف (ﷺ) هناك ونادىٰ برفيع صوته « يـاصباحاه» فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك ؟ قال أرأيتم إن اخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أماكنتم تصدقونني ؟ قالوا بلىٰ، قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد [١].

فنهض أبو لهب وقطع عليه كلامه لئلا تؤثر كلماته في قلوب الحاضرين وصاح في وجه النبيّ (ﷺ) قائلاً: تباً لك، ألهذا دعوتنا ؟ بهذه الكلمات البذيئة استطاع ان يفرق الجموع ويفسد علىٰ النبيّ(ﷺ) دعوته، ولقد جازاه الله تعالىٰ علىٰ هذا الانكار والعداء لله ورسوله أن أنزل سورة من القرآن في ذمه، وهي: ﴿ تَبَّتْ يدا أبي لَهبٍ وتَبَّ ﴾ الىٰ آخر السورة [٢].

ردود الفعل لنداء النبيّ (ﷺ)

لقد كان لنداء النبيّ (ﷺ) وكلماته الحكيمة البليغة كبير الأثر في كثير من الذين استمعوا اليه . وبدأ الحديث وانتشر في مجالس قريش ومحافلهم عن الدين الجديد الذي جاء به محمّد(ﷺ) ولقد وجد البعض ممن أرهقتهم المظالم والهبت ظهورهم سياط الظلم والعدوان ... وجدوا في هذه الدعوة العادلة الرحيمة نافذة أمل ورجاء في اصلاح أحوالهم، ونجاتهم، مما كانوا يقاسون من الذل والحرمان.

ولكن أشراف قريش وزعمائها لم يستجيبوا للدعوة الجديدة، بل صمموا علىٰ الوقوف في وجهها ووضع العراقيل أمامها ذلك أنهم وجدوا النبيّ (ﷺ) يسخر من آلهتهم التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم، ولم يكن يترك فرصة إلاّ وندد بسخف عقائدهم، وبين زيفها وبطلانها، والحقيقة هي أنهم بدأوا يشعرون بما في دين محمّد(ﷺ) ودعوته من خطر يهدد

---

١ - تاريخ الطبري : ج ٣، ص ١١٧٠ . ٢ - السيرة الحلبية : ج ١، ص ٣١١ .

كيانهم ومكانتهم اذ ان الناس لو تركوا الأصنام وعبادتها وتوجهوا الىٰ الله تعالىٰ وحده بالتعظيم فأين تذهب منافع هؤلاء السادة الحاكمين ؟ ومن يمتثل أوامرهم ويخضع لمقامهم الديني الشريف ؟

ولم يروا بُداً أن يجلسوا في دار ندوتهم ويبحثوا فيما يجب اتخاذه لمنع هذه السيرة المباركة من التقدم، وقد استقر رأيهم علىٰ أن يذهبوا الىٰ أبي طالب عليه السلام كبير قريش والذي كان بمثابة الوالد للنبي (ﷺ) ليطلبوا منه أن يمنع محمّداً (ﷺ) من الاستمرار في دعوته فذهب اليه رجال من أشراف قريش وفي مقدمتهم أبو سفيان، فتحدثوا عن محمّد (ﷺ) ودينه وأنه سب آلهتهم وعاب دينهم، ولكن أبا طالب عليه السلام ردّهم رداً جميلاً.

قريش تقدم الشكوىٰ لأبي طالب (عليه السلام)

وجد أشراف قريش أن محاولتهم الأولىٰ لم تثمر، فقد مضىٰ محمّد(ﷺ) في نشر رسالته، وازداد أعوانه يوماً بعد يوم، فمشوا الىٰ أبي طالب عليه السلام، مرة أخرىٰ فقالوا له : « يا أبا اطالب إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا وقد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا، وانا والله لانصبر علىٰ شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتىٰ تكفه عنا أو ننازله واياك في ذلك ـ أي القتال ـ حتىٰ يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه ». فدعا أبو طالب عليه السلام محمّداً(ﷺ) وأخبره بمقالة القوم، وطلب رأيه في ذلك . فأجابه رسول الله(ﷺ) قائلاً : « **ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علىٰ أن أترك هذا الأمر حتىٰ يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته ثم خرج متأثراً وقد خنقته العبرة** ».

فناداه أبو طالب عليه السلام، وقال له : « أقبل يابن اخي فلما أقبل، قال له :

اذهب يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء ابداً»[١].

ثم إنّ قريشاً سلكوا طريقاً آخر لمنع أبي طالب عليه السلام من مناصرة محمّد(صلى الله عليه وآله) وحمايته فمشوا اليه واخذوا معهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا ابا طالب، هذا عمارة بن الوليد أقوىٰ فتىٰ في قريش وأجملها، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن اخيك هذا، فنقتله، فانما هو رجل برجل، فأجابهم أبو طالب عليه السلام قائلاً: والله لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله مالا يكون ابداً[٢].

قريش تحاول إغراء النبيّ (صلى الله عليه وآله)

لقد ظن زعماء قريش انهم قد يستطعيون ايقاف النبيّ(صلى الله عليه وآله) عن المضي في دعوته وذلك باغرائه بالمال أو الشرف أو الملك والمنصب، ولهذا فقد جاءوا اليه ذات مرة وقالوا له: يا محمّد، ان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتىٰ تكون أكثرنا مالاً، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانا يسمون التابع من الجن رئيّا ـ فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطبيب حتىٰ نبرئك منه أو نعذر فيك.

«فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بي ماتقولون: ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلّغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردّوه عليّ

---

١ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦. ٢ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

أصبر لأمر الله، حتىٰ يحكم الله بيني وبينكم »[١].

ولما رأت قريش أن جميع أساليبها لم تنفع في كف محمّد(ﷺ) عن تبليغ رسالته، قنعوا واكتفوا منه ان يكفّ عن شتم آلهتهم ويتركوه وشأنه، لذا جاءوا الىٰ ابي طالب عليه السلام وطلبوا منه ان يبلغ محمّداً (ﷺ) مقالتهم فأرسل أبو طالب الىٰ النبيّ (ﷺ) فلما دخل عليه أخبره باقتراحهم.

فقال النبيّ (ﷺ) ياعم: أولا أدعوهم الىٰ ما هو خير لهم أدعوهم الىٰ أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم ؟

فقال أبو جهل: ماهي ؟ وابيك لنعطينكها وعشراً أمثالها ؟ قال النبيّ(ﷺ) أن تقولوا: « لا اله الاّ الله » فنفروا واقالوا: سلنا غير هذه، فقال رسول الله (ﷺ) لو جئتموني بالشمس حتىٰ تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها[٢].

ولما وجد زعماء قريش أن أحاديثهم مع النبيّ (ﷺ) لا يمكن أن تؤدي الىٰ نتيجة لصالحهم تجعله ينفض يديه من رسالته، فلا التهديد ولا الوعيد يستطيع أن ينال عن عزم النبيّ (ﷺ) وثباته، فقد صمموا أن يتخذوا قباله موقفاً أشدّ.

---

١ - السيرة لابن هشام: ج ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦. ٢ - تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١١٧٦.

مشاكل الطريق
و تعذيب قريش

تعذيب قريش

منذ اليوم الذي بدأ فيه النبيّ (ﷺ) دعوته العلنية للاسلام، وزعماء قريش يتبعون الأسلوب تلو الأسلوب لاسكات هذا الصوت المقدس ومنعه من الاستمرار في الدعوة الىٰ رسالته الكريمة المقدسة فلقد لجأوا أوّلاً ـ كما هو متعارف في مثل هذه الحالات ـ الىٰ الاغراء بالأُمور المادية واطلاق الوعود من أموال ورئاسة ونساء وغير ذلك ولما يئسوا من ذلك استعملوا أسلوب التهديد والوعيد، وأخيراً سلكوا طريق الأذىٰ والتعذيب ليصدوا الناس عن اتباع الدين الجديد.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة النبيّ (ﷺ) مرحلة اتصفت بالحقد والوحشية من قبل قريش ليمنعوا رسالة الإسلام من التوسع والانتشار خوفاً علىٰ مصالحهم الرخيصة وحفاظاً علىٰ مكانتهم المهزوزة وتسلطهم الجائر علىٰ أعناق الضعفاء ولهذا لم يراعوا القواعد الانسانية والاصول الأخلاقية في الوصول الىٰ أهدافهم في الحيلولة بين النبيّ (ﷺ) وتبليغ رسالته الىٰ الناس.

وهنا لا يمكن أن ننسىٰ أن المستوىٰ العقلي والفكري لذلك العصر كان دخيلاً في عدم تقبل البعض من الناس لرسالة الإسلام إلّا ان مخالفة قريش وعداءها إنما اشتد وقوى حين أحسّوا أن في هذه الرسالة خطراً جدياً

عليهم، ذلك أنهم وجدوا النبيّ (ﷺ) يسخر من أصنامهم ويقول : ما عسىٰ أن تفعله هذه الاصنام الخرساء المصنوعة من الخشب أو الحجر أو تجلبه من البركة ؟

وكانوا يعتبرو ن ذلك ضربة قاسية توجه اليهم لأنهم كانوا يعتبرون عبادة الأصنام جزءاً مما ورثوه من آبائهم وأجدادهم وأمجادهم التي يفاخرون بها .

ولكن الأهم من ذلك كله أنهم وجدوا أن تعليمات الدين لا تتلائم مع مصالحهم الطبقية ومنافعهم الضيقة فقد كان زعماء قريش لايريدون بحال من الأحوال ـ أن يتنازلوا عن تسلطهم واستثمارهم للطبقة الفقيرة الكادحة والمحرومة، وامتلاكهم للرقيق ـ العبيد ـ الذين كانوا يعاملونهم بمنتهىٰ القسوة والوحشية وكذلك كان أصحاب الأموال من المرابين يريدون ابقاء النظام الربوي ليمتصوا ما يحلو لهم من دماء الناس الضعفاء وكذلك كان جبابرتهم وطغاتهم والمتكبرون منهم يسعون الىٰ سيطرتهم علىٰ الناس ونهب أموالهم والاعتداء علىٰ حرماتهم وإرهابهم بقوة السيف والسنان .

وهكذا نجد أن من الطبيعي لهذه الرسالة الجديدة التي أعلنت منذ ساعتها الاولىٰ مخالفتها واستنكارها لكل هذه التجاوزات علىٰ الحقوق الانسانية والظلم الصريح الذي يرتكز عليه النظام الاجتماعي الفاسد كله، من الطبيعي ان تواجه مخالفة شديدة وعداء مستحكماً من الطبقة المتنفذة والمنتفعة من استمرار النظام القديم .

وتطالعنا بين أفراد هذه الطبقة المخالفة للدين الجديد أسماء شخصيات قرشية معروفة مثل : أبي جهل، أبي سفيان، أبي لهب، الأسود بن عبد يغوث، العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابني ربيعة، الوليد بن المغيرة، عقبة بن أبي معيط .

ولقد استعمل هؤلاء وأتباعهم كل الأساليب اللاإنسانية، من تهم رخيصة وسب مقذع وحصار اقتصادي ومالي، وتعذيب نفسي ضد محمّد(ﷺ) وأتباعه المسلمين وهنا نشير الىٰ بعض الأمثلة من ذلك :

١ ـ بينا رسول الله (ﷺ) ساجد وحوله ناس من قريش وثم سلىٰ بعير فقالوا من يأخذ سلىٰ هذا الجزور أو البعير فيقذفه علىٰ ظهره ؟ فجاء عقبة بن نافع بن أبي معيط فقذفه علىٰ ظهر النبيّ(ﷺ) وجاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته من ظهره ودعت علىٰ من صنع ذلك ...[١] .

٢ ـ عن طارق المحاربي قال : رأيت النبيّ (ﷺ) في سوق ذي المجاز بمكة، وهو يقول : **أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا** ويدعو الناس الىٰ الإسلام وتوحيد الله فيما كان أبو لهب يتبعه ويرميه بالحجارة وقد أدمىٰ رجليه، وهو يقول : « أيها الناس : لا تطيعوه فانه كذاب »[٢] .

وبالاضافة الىٰ النبيّ (ﷺ) فقد تعرض أصحابه وأتباعه الذين أسلموا علىٰ يديه وآمنوا به ... الىٰ أبشع تعذيب وحشي لا إنساني .

٣ ـ روي عن جابر أن رسول الله (ﷺ) مر يوماً بعمار وأهله يعذّبون في الله، فقال : « **ابشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**»[٣] يقول ابن الأثير : كان المشركون يعذبون عماراً وأباه وأمه أشدّ العذاب وذلك بأن يخرجوهم الىٰ الابطح اذا حميت الرمضاء ـ الارض ـ يعذبونهم بحر الشمس الملتهبة .

ولقد قتلت (سُمية) أم عمار وهي أول شهيدة في الإسلام، بحربة ضربها بها أبو جهل وقتلها كما قتل ياسر (والد عمار) هو الآخر تحت تعذيب المشركين .

---

١ ـ إعلام الورىٰ للطبرسي : ص ٤٧ .
٢ ـ المناقب لابن شهرآشوب : ج ١، ص ٥٦ .
٣ ـ اعلام الورىٰ : ص ٤٨ .

وشددوا العذاب علىٰ عمار نفسه بالحر تارة وبوضع الصخرة علىٰ صدره أُخرىٰ وهم يريدون منه أن يسب محمّداً (ﷺ) ويظهر الكفر وهو يمتنع عن ذلك حتىٰ أجابهم الىٰ ذلك تقية منهم وإن كان قلبه مطمئناً بالايمان كما تقول الآية وبذلك نجا من الموت الذي كان ينتظره علىٰ أيديهم [١].

٤ ـ ومن جملة من عذّب (بلال) الحبشي وكان عبداً قد أسلم علىٰ يد رسول الله (ﷺ) وكان مولاه اذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء علىٰ ظهره ثم يأمر بصخرة عظيمة فتلقىٰ علىٰ صدره ويقول له: لا تزال هكذا حتىٰ تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزىٰ، وكان بلال صامداً صابراً في تحمل كل ذلك العذاب والتهديد ولا يجيب إلاّ بكلمة واحدة يكررها ويقول: أحد أحد [٢].

وإننا لنأسف من أنه لا يسعنا في هذه المقالة الموجزة أن نستوعب جميع القصص المحزنة والصور الفريدة التي تعرض لها النبيّ (ﷺ) والمسلمون في صدر الإسلام وأيامه الأُولىٰ، ولكننا يمكن أن نقول: إن المشركين وأعداء الإسلام لم يدعوا وسيلة إلاّ واستعملوها، لمناهضة الإسلام وحربه والوقوف في وجهه ويمكن الاشارة بصورة إجمالية الىٰ هذه الوسائل والأساليب:

١ ـ **الضغوط الاقتصادية**: لقد شن المشركون حرباً اقتصادية شديدة علىٰ النبيّ (ﷺ) وعشيرته وأتباعه المسلمين، فحرموا جميع أنواع المعاملات التجارية معهم، وكان ذلك سبباً لأزمة شديدة وحصار أليم للنبي (ﷺ) ومن معه.

---

١ ـ الكامل لابن الأثير: ج ٢، ص ٦٧، ط بيروت.

٢ ـ المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٦.

٢ ـ الحرب النفسية : وكانت تتمثل في قطع الروابط الاجتماعية بالمسلمين وعدم الزواج معهم، بالاضافة الىٰ اتهام النبيّ(ﷺ) بالسحر تارة والكذب اخرىٰ، لاضعاف الروح المعنوية لدىٰ المسلمين .

٣ ـ التعذيب الجسدي : الذي كان هو الآخر من الأساليب الوحشية اللاإنسانية التي استعملتها « **قريش** » للقضاء علىٰ النهضة الجديدة بقائدها وأتباعها، وقد أدىٰ هذا الإيذاء والتعذيب الىٰ استشهاد عدد من المؤمنين في صدر الإسلام .

ولكن بالرغم من كل هذه الاساليب المقيتة التي إتبعها المشركون في حربهم ومناهضتهم للاسلام والنبيّ(ﷺ) والمسلمين ... فإنّ الإسلام استمر في تقدمه وانتشاره، كما استمر النبيّ (ﷺ) في دعوته الناس الىٰ طريق الحق المستقيم، وكذلك استمر المسلمون في جهادهم وثباتهم علىٰ دينهم القويم .

ولقد سلكوا هذا الطريق المجيد المليء بالفخر وتحملوا المشاكل الكثيرة والإيذاء والآلام والشقاء والصعاب والهجرة والتشريد ... كل ذلك حرصاً علىٰ دينهم وفي سبيل عقيدتهم وإيمانهم .

ومن الأمور المهمة التي نستفيدها من حياة وتاريخ المسلمين في صدر الإسلام أننا خلافاً لمزاعم وادّعاء اعداء الإسلام لانجد تقدم الإسلام وانتشاره معتمداً علىٰ السيف والحرب بل انه خلال مدة ثلاث عشرة سنة عانىٰ المسلمون فيه أشد أنواع القسوة والتعذيب من أعدائهم، كان الاسلام يقاوم ذلك كله ويتقدم وينتشر .

هجرة النبي محمد (ص)
بداية تاريخ و تحول فى

الهجرة من أجل الهدف

كان النبيّ (ﷺ) يقرأ في قسمات وجوه أهل مكة ما تكنه قلوبهم له من تكذيب ... وماسيزرعون في طريق الإسلام من عوائق وعقبات .

وكان يعلم أن هؤلاء القوم الغارقين في الجهالات والخرافات، لا يمكن لهم أن يتركوا ما هم عليه بسهولة ويسر، ولكي يتم اخراجهم من الظلمات الىٰ النور، لابد من صراع عنيف تبذل فيه جهود جبارة تصل الىٰ حد التضحية والفداء .

وعلىٰ أساس من هذه النظرة البعيدة ... التي تعي ما يحمله الغد من صعوبات ... وبمثل هذه البصيرة النافذة الى كل زوايا المستقبل البعيد ... نهض النبيّ الأعظم (ﷺ) بأعباء الرسالة .

وأقام (ﷺ) بمكة المكرمة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً [1] يتحمّل فيها ألوان المشقات ويحاول التغلب علىٰ المصائب التي تواجهه، ولكن أعداء الإسلام لم يكفّوا عن ايذائه بل ومحاولات القضاء علىٰ رسالته بشتىٰ الطرق والاساليب ... وكان هذا الوضع يستدعي نقل مركز القيادة من مكة الىٰ مكان آخر يتوفر فيه الجوّ المناسب الذي يحفظ للرسالة استمرار نموّها و انتشارها .

---

١ - الكامل لابن الاثير : ج ٢، ص ١٠٨، ط بيروت ١٣٨٥ هـ.

يثرب ... الأرضية الصالحة

في أحد مواسم الحج التقىٰ النبيّ (ﷺ) في المسجد الحرام بعدد من كبار « الخزرج » فدعاهم الىٰ اعتناق الإسلام الذي هو دين السلام العادل والأخوة المثلىٰ ... ووجد هذا النفر من الخزرجيين في الإسلام ضالتهم المنشودة ... فقد كانوا يعانون الكثير من صراعهم المزمن من «الأوس » .

وكان هذا الصراع قد بعث في هذه الفترة بالذات من جديد فاستجابوا لدعوة النبيّ (ﷺ) بكل اخلاص ... وطلبوا منه أن يرسل معهم من يعلمهم أمور دينهم، فأوفد معهم مصعب بن عمير(رضي الله عنه) .

وهكذا بدأت الدعوة الىٰ الإسلام تنتشر في يثرب ... وأخذ أهلها يدخلون في دين الله أفواجاً . وكان من العوامل الرئيسة والفعّالة في اعتناق هؤلاء لهذا الدين الجديد آيات الله البينات الّتي تقرأ عليهم. وكتب مصعب الىٰ النبيّ (ﷺ) يخبره باسلام أغلبية القوم من الأوس والخزرج .

بعد هذا التقىٰ النبيّ الأعظم (ﷺ) بمجموعة كبيرة من أهل يثرب قدموا لأداء فريضة الحج ... التقىٰ بهم سراً فبايعوه علىٰ أن يحموه ويدافعوا عنه اذا قدم اليهم كما يدافعون عن نسائهم وأولادهم[1] .

هذه البيعة المصيرية في تاريخ الرسالة الاسلامية كانت دليلاً علىٰ أن غرسة الإسلام بدأت تؤتي أكلها ...

المؤامرة

كان الظلام مايزال مخيماً عندما طرق سمع قريش النبأ الصاعقة ... نبأ بيعة اليثربيين للنبي (ﷺ) ومعاهدتهم له ...

ولأجل تطويق هذا الحادث والقضاء علىٰ الانتصار الذي احرزه رسول

---

١ - اعلام الورىٰ : ط النجف الأشرف ١٣٩٠ ص ٥٥ ـ ٦١ .

الله (ﷺ) تهافت شيوخ الشرك الىٰ دار الندوة.

وبعد أخذ وردّ وإبرام ونقض قرّروا أن تنتدب كل قبيلة رجلاً ... لينقض هؤلاء المنتدبون علىٰ بيت النبيّ ليلاً ويقتلوه ... وبالقضاء عليه يتم القضاء علىٰ دعوته وينتهي كل شيء [١].

هذا ماأراده الكفار، ولكن الله سبحانه أراد شيئاً آخر ... فأطلع نبيه علىٰ ما يبيت له القوم وأمره أن يغادر مكة ليلاً [٢].

الاخلاص والفداء

وأودع النبيّ (ﷺ) ما كان عنده من أمانات الناس عند علي عليه السلام ليردها الىٰ أصحابها وقال له أنه مغادر مكة وأمره أن ينام علىٰ فراشه لكي لايتنبه الأعداء لمغادرة النبيّ (ﷺ) المنزل ... وامتثل الإمام سلام اللّه عليه أمر رسول اللّه (ﷺ) ونام علىٰ فراشه راضياً أن تهدد سلامته كل الأخطار التي كانت تهدد حياة الإسلام ممثلاً بالنبي الأعظم(ﷺ).

لقد كان موقف الامام علي عليه السلام هذا خالصاً لوجه الله وغاية في الأهمية بحيث أن اللّه سبحانه ذكره في القرآن الكريم وأثنىٰ عليه [٣].

الىٰ غار ثور

ولم يطبق الظلام إلاّ وبيت النبيّ (ﷺ) محاصر ... وأعداء اللّه المنتدبون من كل قبيلة يظنون أنهم أحكموا الخطة ...

---

١ - تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١٢٢٩، اعلام الورىٰ: ص ٦١ ـ ٦٢.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٣، ص ١٢٣١، بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٦٠.

٣ - بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٧٨.

ههنا بيت الرسول يحيط به نفر سوء ... وداخل البيت علي(عليه السلام) يبيت حيث اقتضت المصلحة وجاءه الأمر ... وخارج البيت ثعابين، يالله الشيطان الىٰ أي حدّ استطاع إغواءها !! حتىٰ أنها أصبحت بعد رسم الخطة تنتظر بفارغ الصبر نبأ مقتل سيدّ المرسلين(صلى الله عليه وآله) .

والىٰ جانب هذه المشاهد الثلاثة كان ثمة مشهد رابع ...

ها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) متجهاً الىٰ غار ثور ... عبر طريق خاص بعد أن غادر البيت وهو يقرأ آيات من سورة يس ... واصطحب معه في رحلته أبا بكر [١] .

وجرّد أولئك النفر المشؤومون الذين كانوا يحاصرون البيت سيوفهم ... وهجموا باتجاه فراش النبيّ (صلى الله عليه وآله) وَلِكَمْ كان هول الصدمة قاسياً حين رأوا علياً عليه السلام علىٰ فراشه (صلى الله عليه وآله) .

وأسقط في أيديهم ... وباضطراب سألوا : « أين ابن عمك محمّد ؟!! قال علي عليه السلام : **أجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم لهُ : اخرج عنا فقد خرج عنكم فما تريدون ؟ ...** » [٢] .

وحين رأت قريش أن كل جهودها قد ذهبت سدىٰ شعرت بأنها طعنت كبريائها في الصميم فحاولت جاهدة العثور علىٰ رسول الله ... ولكن لم يحالفها النجاح .

الىٰ يثرب

بقي النبيّ (صلى الله عليه وآله) في غار ثور ثلاثة أيام . ثم اتجه الىٰ يثرب... وكانت هذه الفترة كافية لزرع اليأس في قلوب الكفّار ليكفوا عن ملاحقته .

---

١ - تاريخ الطبري : ج ٢، ص ١٢٣٤ . ٢ - اعلام الورىٰ : ص ٦٣ .

والتاريخ يذكر لنا أن رجلاً مكياً يدعىٰ « سراقة بن مالك » كان قد تتبع أثر الرسول (ﷺ) ولكنه مرّ بصعوبات وعثرت به الفرس واسقطته ارضاً مما دعاه لأن يتوب ويرجع [١].

وفي الثاني عشر من ربيع الأول وصل (ﷺ) الىٰ منطقة يقال لها (قبا)[٢] واقام فيها عدة أيام [٣] ينتظر قدوم الامام علي عليه السلام ... ولقد أصر أبو بكر علىٰ النبيّ (ﷺ) أن ينتقل الىٰ يثرب لكنه(عليه السلام) علّل بقاءه بقوله : ولست أريم حتىٰ يقدم ابن عمي وأخي في الله عزوجل، وأحب أهل بيتي اليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين .

والتحق الامام علي عليه السلام بالنبي (ﷺ) بعد أن أدىٰ الأمانات الىٰ أصحابها، ولقد حاول الكفار أن ينالوا من الامام عليه السلام ولكنه تصدىٰ لهم فردّهم الله سبحانه وتعالىٰ بغيظهم ووصل(عليه السلام) الىٰ قبا متعباً قد هدّه الأعياء واعتنقه الرسول (ﷺ) وبكىٰ رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما علىٰ قدميه، فلم يشتكهما بعد حتىٰ قتل [٤] ...

يثرب تنتظر

كان الناس في يثرب في انتظار القائد الأعظم وقد دبت في المدينة روح جديدة وأصبح وضعها غير طبيعي ... فكأنما اليوم يوم عيد ... العيون مسمرة في اتجاه قبا ... والأعناق مشرئبة نحوها ...

ويوم الجمعة ... هذا اليوم المبارك ... دخل النبيّ الأكرم(ﷺ) مدينته المنورة ... فاكتظّت الطلائع المسلمة عليه وتحلّفت حوله ... ويا لنعماها

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ٤٨٩، بحار الأنوار : ج ١٩، ص ٨٨ .

٢ - كامل التواريخ : الجزء الثاني ط بيروت ١٣٨٥ ص ١٠٦، وقبا مكان يبعد عن المدينة المنورة عدة كيلو مترات فقط .

٣ - تاريخ الطبري : ج ٣، ص ١٢٤٥ .

٤ - كامل التواريخ : ج ٢، ص ١٠٦ .

سعادة ... سعادة هؤلاء الذين نعموا بلقاء سيد المرسلين [١] ...
هكذا كانت بداية قصّة المدينة مع النبيّ محمّد(ﷺ)
وفي المدينة ركز (ﷺ) أسس الإسلام وارسىٰ قواعده .

وبعد دخول النبيّ (ﷺ) يثرب تغير اسمها فاصبح (المدينة المنورة).
ثم إن هذه السنة التي غادر (ﷺ) فيها مكة الىٰ المدينة أصبحت بداية للتاريخ الهجري ... وذلك لما تحمله الهجرة من معان جليلة ... وسيظل بقاء الإسلام مديناً للمدينة ...
وستظل جهود رسول الله والقلوب التي لامس الإيمان شغافها ... فوق كل الجهود ... ومن قبل كل هذا ومن ورائه توفيق الله وتسديده ....
﴿ وَيأبىٰ اللهُ إلّا أنْ يُتم نورهُ ولو كرهَ الكافرونَ ﴾ .

درس من الهجرة

والآن ... وبعد أن مضىٰ علىٰ هذه الواقعة العظيمة أربعة عشر قرناً ... دعنا نتصفح التايخ لنتأمل الفعاليات والمشاكل التي بذلت وواجهت المسلمين في سبيل الهجرة من مجتمع لا يمكنهم أن يعبروا فيه عن آرائهم بصراحة ... ولا ان يمارسوا معتقداتهم بحرية ...
الدرس الذي يجب ان نستفيده أن هؤلاء المسلمين الذين نجوا من شر قريش ... وجو مكة المليء بالمتاعب والمصاعب وانتقلوا الىٰ جو هادىء ... لم يركنوا الىٰ الدعة والاستقرار ... ولم يلجأوا الىٰ ما مرّ بهم من نكبات في امسهم محاولين أن يجعلوه رصيداً يكفيهم عناء حمل الرسالة ... بل

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ١، ص ٤٩٤، بحار الانوار : ج ١٩، ص ١٢٣ .

استمروا في الدعوة الىٰ الله والىٰ دينه ليكونوا المجتمع الذي اراد الله أن يكون .

ولقد كانت جهودهم المتلاحقة ... ومواقفهم الفدائية ... هي السر الذي يكمن وراء التغير السريع العجيب الذي طرأ علىٰ حياتهم وأنالهم درجة رفيعة لايُنالُها إلاّكُل ذي حظ عظيم ... ولا غرور أن استطاع المسلمون في الصدر الأول أن يحققوا هذه الانتصارات . لا غرور في ذلك مادام قائدهم هو النبيّ الأعظم (ﷺ) .

إن من الضروري ان نغذي أبناءنا ونربيهم علىٰ أن عزة المسلمين الأوائل انما كانت في ظل الايمان والعمل .

واذا نريد العزة فليس لها إلاّ هذا الطريق، أما ماعداه فإنه يجلب عزاً ظاهراً لا يلبث ان يتبدد ويزول .

اطروحة الاخوة الاسلامية
فى المدينة المنورة

المجتمع الفاضل

يولد المجتمع الفاضل ويتكامل في ظل الانسجام والتلاؤم والثقة المتبادلة بين الأفراد.

ومجتمع كهذا تخيم عليه السعادة ويغمرها الهناء والسرور... ولقد مهّد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريده ومن أجل ذلك تخطىٰ كل الفوارق العرقية والعنصرية وحواجز اختلاف اللغات، وقرر أن جميع الناس سواسية كأسنان المشط، وجعل المقياس الوحيد هو التقوىٰ.

﴿ إن اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ [1].

و « الاخوة الاسلامية » هي خير تعبير عن تكاتف المسلمين وتضامنهم...

قال تعالىٰ ﴿ إنما المؤمنونَ إخوةٌ ﴾ [2].

ابتكار في ميدان الأخوة الاسلامية :

بعد أن دخل النبيّ (ﷺ) المدينة وبنىٰ المسجد الذي هو في الواقع مركز الدعوة ومنطلقها علىٰ جميع الأصعدة، وجّه عنايته الشريفة الىٰ البنية الاجتماعية للمسلمين فأرسىٰ دعائم الأخوة بينهم.

وقد كان عامل الأخوة هذا ينسي المهاجرين مرارة الهجران ويقدم لهم

---

١ - الحجرات : الآية ١٣.

٢ - الحجرات : الآية ١٠.

الدليل الحق علىٰ أنهم وإن كانوا قد خسروا أهليهم ووطنهم إلاّ أنهم ربحوا إخواناً أوفياء أودّاء .

ولأجل هذا فلم يكتف النبيّ (ﷺ) بالأخوة العامة التي تربط بين كل مسلم ومسلم ... بل آخىٰ بين كل اثنين منهم بعقد خاص... وكان ان اختار لنفسه علياً عليه السلام أخاً وقال : هذا أخي[١] .

وقد امتدح القرآن الكريم الأخوة الاسلامية ودلل علىٰ عظمة شأنها ... قال تعالىٰ ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ إذ كُنْتُمْ أعداءاً فألّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِه إخْواناً ﴾[٢]

وليست الأخوّة الإسلاميّة من وحي الخيال وإنما هي حقيقة واقعة ممزوجة بروح الإيمان، وتتّضح آثارها ويتجلّىٰ الواحد تلو الآخر... وهذا هو الإمام الصّادق عليه السلام يوضّح جانباً من هذه الآثار[٣] « المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه لأنّ اللّه عزّ وجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرىٰ في صورهم من ريح الجنّة فلذلك هم إخوة لأب وأمّ » .

وان من جملة ما تقتضيه الأخوة الإسلاميّة الصادقة هو أن تحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك وأن تمدّ له يد العون عن أيّ طريق أمكنك ذلك ...

وليست من الاخوة الإسلاميّة بل إنّه لبعيد عنها بعد ما بين الخافقين أن تبيت شبعاناً مرتوياً ... يجلّلك اللباس الفاخر في حين أنّ إخوة لك في الدين يعانون الجوع والعطش ولا يجدون لأسمالهم البالية عوضاً .

يقول الإمام الصادق عليه السلام : من حقّ المؤمن علىٰ أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرّج عنه كربته ويقضي دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده[٤] .

---

١ - سيرة ابن هشام : ج ٢، ص ٥٠٤ - ٥٠٥ . ٢ - سورة آل عمران ١٠٣

٣ - أصول الكافي : ج ٢ ص ١٦٦ - ١٦٧ . ٤ - الكافي : ج ٢ ص ١٦٩ .

والأخوّة الإسلاميّة من وجهه نظر الإسلام أقوىٰ وأوثق من جميع العلائق ... حتىٰ النسبيّة منها ...

قال الله تعالىٰ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ ﴾[1].

ولقد كان لهذا المبدأ العظيم الذي عنىٰ به النبيّ ﷺ أبعاده الكبيرة وآثاره الإنسانية الهامّة ... فنتيجة له اصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي أخوين علىٰ قدم المساواة ... ومن أقرب أصحاب الرسول القائد ﷺ إليه...

ثم إنّ هنالك عداوات متأصّلة وعميقة الجذور ... وتجمعات متفرّقة متحللة ... كان هذا المبدأ سبباً في إصلاحها وإحكام بنائها ... وغرس روح التحابّ والتآلف والتعاضد والتكاتف فيها حتىٰ أصبحت البيئة التي حظيت بنعمة هذه الاخوّة كأسرة واحدة كل واحد من أفرادها يشاطر الآخر أفراحه واتراحه ...

وقد قلنا فيما سبق أنّ أخوّة الإسلام مسألة روتينيّة وسنتناول ذلك الآن بشيء من التفصيل :

يقرّر الإسلام أنّ الأخوّة فيها مسؤولية عامّة ... بمعنىٰ انّ علىٰ كل إنسان أن ينفتح علىٰ مشاكل الآخرين ويسهم في حلّها بمقدار ما يستطيع، ولا يصح للفرد المسلم أن ينغلق علىٰ نفسه ويعيش لهمومه وشؤونه الخاصة دون أن يشعر بالآخرين وملابسات حياتهم ... ومن أهمّ مجالات هذه المسؤولية العامّة ما يلي :

١ ـ التعاون الاقتصاديّ : وهو عبارة عن سدّ الاحتياجات الاقتصاديّة

---

١ - المجادلة آية : ٢٢ .

بمختلف أنواعها ... الصحيّة والثقافية ... وتهيئة المسكن ... ووسيلة الكسب ... وقد ورد بيان هذا المجال في القرآن الكريم وفي السنّة الشريفة... ضمن نظم اجتماعيّة في غاية الدقة والشمول .

٢ ـ التعاون التربوي ... وهو عبارة عن أن لا يدخر المسلم وسعاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... وإرشاد الآخرين وهدايتهم ... وهذا المجال جمّ الفائدة بل لا تستقيم الحياة بدونه أبداً ... ثم إنه في الواقع نوع من حبّ الخير للناس .

ولشديد الأسف نرىٰ أنّ المسلمين قد تركوا هذا الواجب العظيم ... وأكبر الظن أنّ السبب في ذلك أوهام من نسج الخيال .. جعلتهم يعتقدون أنهم لا يملكون القوة ولا يتمتّعون بالحماية التي تتيح لهم أداء هذا الواجب .

نعم ترك المسلمون هذه السنّة المباركة ... فلم يحولوا دون تفشّي الآثام والشرور ... ولم يدعوا الىٰ إعمال الخير ويرغبوا إليها ... فكان أن ذبلت الروح التربوية للأخوّة الاسلاميّة وذابت ... وفقدت من جرّاء ذلك كل الخصائص التي تبعث في هيكل المجتمع الحياة .

الاخوّة الاسلاميّة في عصرنا الحاضر :

إن المسلمين في العصر الحاضر بحاجة الىٰ التآخي والاتحاد اكثر من أيّ عصر مضىٰ وذلك لأنّ هذه المنطقة من العالم والتي يطلق عليها اسم العالم الإسلاميّ منطقة غنيّة جدّاً بثرواتها الطبيعيّة إن لم نقل أنها المنطقة الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذه الخصائص، وقد لفتت كثافة الثروات الطبيعية التي منّ الله سبحانه بها علىٰ وطننا الإسلاميّ انظار المستعمرين من أعداء الإسلام ... فأصبح همّهم الوحيد خيرات هذه المنطقة ... الأمر الّذي جعلهم يخطّطون لتفرقتنا والقاء الفتن بيننا لأنهم يعلمون أنّ اختلافنا

وتناحرنا يفتح لهم الباب علىٰ مصراعيه ويمكنهم من نهب خزائن نعمة الله في بلادنا .

إنّ علينا أن نكون أذكياء متيقّظين لنقطع الطريق علىٰ كلّ المحاولات التي تستهدف إبقاءنا أمّة ممزّقة ...

والخطوة الأولىٰ التي لابدّ لنا منها هي بناء الأخوّة الإسلاميّة التي أرسىٰ دعائمها النبيّ الأعظم ﷺ .

و مهما عظمت قوّة المسلمين فإنّهم سيظلون بحاجة الىٰ التآخي والاتحاد، وبما أنّ المسألة علىٰ هذا الجانب من الأهميّة فإنّ من الواجب أن يدرس مبدأ التآخي في الله في مدارسنا بشكل يستهوي الطلاب .

وشيء جيّد لو يدرس هذا المبدأ السامي في المرحل الدراسيّة الثانوية والجامعيّة ويطبّق علميّاً تحت إشراف مدرسين أكفاءِ والىٰ جانب واجب المدرسة ... فإن علىٰ البيت أن ينشيء طفله نشأة اسلاميّة صحيحة ... فيحسّسه بآلام الآخرين بالمستوىٰ الذي يتناسب مع مستواه .

وليكن شعارنا :

نحو أخوّة إلاسلاميّة جديدة ...

وليكن عملنا في طريق احقاق وحدة المسلمين وتآخيهم وصيرورتهم يداً واحداً علىٰ الكفّار في ارجاء العالم .

وقد ظهر نموذج من تأثير الأخوّة الاسلاميّة في انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة قائدها العظيم الإمام الخميني حينما رفض الشعب المسلم الايراني في ظل التعاون والتآخي حكومة الطواغيت وصار يعيش تحت لواء الإسلام وخرج عن سلطة الشرق والغرب منادياً بشعار التوحيد والله اكبر ...

الجهاد في الاسلام

نبيّ الرّحمة :

بعث النبيّ الاعظم ﷺ رافعاً علم السّلام والأخوّة حتىٰ استطاع في النهاية وعن طريق شعار ﴿ وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ ﴾ [1] أن يحكّم دعائم السّلام العالميّ والتعايش السلميّ الصحيح لا المزيّف .

الإسلام ... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقيّة والعنصريّة التي كانت عاملاً محرّكاً في كثير من الحروب ... وقدم لهذه المشاكل أفضل الحلول ... أمّا دنيانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدّن ، فإنّها لم تستطع حتىٰ الآن أن تجد لها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها ... ولذلك نرىٰ نيران الحروب دائمة الضرام .

ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي « أهل الكتاب » [2] الىٰ الاتحاد، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ... ﴾ [3] .

وعندما هاجر المسلمون الىٰ المدينة ورفرفت راية النصر فوق رؤوسهم ، قدمت الىٰ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله طلبات إبرام صلح من

---

١ - سورة الأنبياء : ١٠٧ .

٢ - أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السّماويّة، وانما أطلق عليهم ذلك لأنّ لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلاً من الله سبحانه وتعالىٰ .

٣ - سورة آل عمران : آية ٦٤ .

بعض الجهات فقبلها ... والشاهد لذلك عقود الصلح التي أبرمت مع عدّة طوائف من اليهود في السنة الأولىٰ للهجرة[١].

من هذا ومن غيره يستطيع الباحث أن يدرك أنّ الإسلام يريد للبشريّة الدعة والاستقرار ... ولذا فهو يركّز علىٰ الصلح والتعايش الاجتماعي ... ولذلك ايضاً قدّم في هذا الميدان النظم والقوانين الكفيلة ـ ان طبّقت بدقّة ـ بإيجاد مثل هذا المجتمع الذي أصبح في عصرنا الحاضر حلماً جميلاً يدغدغ الخيال، والذي يجري في الجمهورية الاسلامية في ايران ـ منذ أشرقت الثورة الاسلامية فيها ـ إنما هو محاولة لوضع اللّبنة الأولىٰ للمجتمع الإسلامي الذي نأمل أن تتّجه جميع الطاقات الاسلاميّة لتحقيق هذا المجتمع الأصيل .

أهداف الجهاد :

الإسلام مدرسة حيّة وعالية وهو يتكفل بإصلاح النظم الاجتماعيّة والاقتصاديّة بطريقته الخاصة ...

والإسلام ليس كقوانين الروم القديمة واليهود ...

التي كانت مختصّة بمجتمع أو عنصر معيّن ...

بل إنّ الإسلام دين لجميع أهل الأرض ... والمسلمون ملزمون بوحي من تعاليم دينهم أن يعملوا علىٰ إرساء قواعد الصلح والعدل وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لإنقاذ الشعوب المستعبدة ممّا تعاني من ظلم و حرمان...

إنّ علىٰ المسلمين أن يعملوا علىٰ توعية العالم وهدايته الىٰ طرق الخير التي تؤمن له حياة حرّة كريمة .

---

١ - اعلام الورىٰ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٠ ص ٦٩ .

ومن هنا يجب أن يكون واضحاً أنّ المجاهدين المسلمين ليسوا حين جهادهم ـ بصدد احتلال بقعة من الأرض وضمّها الىٰ العالم الإسلاميّ ... كما أنّهم ليسوا بصدد قلب نظام حكم او ما شابه ذلك ...

ان الجهاد سعي مخلص لا تشوبه شائبة ... جهد مشكور يبذل في سبيل الله وتحرير عباده ... لترسيخ السلام وإخماد نار الفتن .

هذا الهدف الكبير ... وهذه التعليمات السامية من شأنها ان تقضي علىٰ الأنانيّة وحبّ الذات والروح النفعيّة التي كلّفت البشريّة الكثير الكثير علىٰ مرّ التاريخ .

والفطرة الإنسانيّة تحكم بأنّ الأعضاء الفاسدة في المجتمع أيّاً كانت امتيازاتها التي أعطتها لنفسها يجب أن تستأصل ... لتؤمن الأرضيّة الصالحة لسعادة الناس ونجاتهم .

ولا شكّ أنّ كلّ متعطّش الىٰ العدالة والحرّيّة بمفهومها الصحيح يبادر الىٰ أداء واجبه في هذا المضمار ويقف مؤيّداً كلّ خطوة تبذل في هذا السبيل .

ما أجمل كلام الله :

﴿ ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] .

ليست الحرب في الإسلام غاية ... ولا هدفاً نهائيّاً ... وإنّما هي وسيلة ردع للأقوياء الّذين لا يسمعون لغير القوّة صوتاً ... وسيلة رفع الظلم عن المظلومين الذين لا يملكون ما يدافعون به عن وجودهم ... ولهذا ـ أي لأنّهم عزل ضعفاء ـ أضحوا غنيمة الاستعباد والطغيان ...

---

١ ـ البقرة : ٢٥١ .

الجهاد في الإسلام عمل جليل إيجابيّ لخير البشريّة ... وهو أبعد ما يكون عن السلبيّة والشرّ والدّمار.

وأقرأ معي ما قاله ذلك المسلم حين دخل علىٰ رستم القائد الايراني فخاطبه بالعباره التالية: (اللّه ابتعثنا واللّه جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الىٰ عبادة اللّه، ومن ضيق الدنيا الىٰ سعتها، ومن جور الأديان الىٰ عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه الىٰ خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل منّاذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه يليها دوننا ومن أبي قاتلناه أبداً...)[1].

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

أصبح واضحاً مما تقدم أنّ من واجب المسلمين أن يتصلوا بالشعوب الأخرى ويمتنوا علاقاتهم بها. خصوصاً تلك الشعوب التي تعاني من أوضاع اجتماعية متداعية. وقلنا إنّ من واجب المسلمين ذلك كي يمكنهم عن هذا الطريق عرض ما جاء به الإسلام من نظم رائعة منبثقة عن عقيدة متينة، تستوعب الكون والإنسان والحياة ...

وفي كل الصراعات التي خاضها المسلمون مع أهل الكتاب لم يسجل لنا التاريخ أنّهم أجبروا أحداً علىٰ اعتناق الإسلام ...

فلقد كان باستطاعة أهل الكتاب أن يعيشوا في ظلّ الدولة الإسلاميّة بمجرد أن يقبلوا شروط الصلح التي تعرضها هذه الدولة ... وفي المقابل تؤمن لهم الحماية التامة التي تؤمنها للمسلمين.

ولقد تعهّد النبيّ (ﷺ) في صلح الحديبية بأنه إذا أسلم أحد من أهل مكة ثم جاء الىٰ المدينة ... فإنه سيرجعه الىٰ مكّة بشرط «ان المسلمين

---

١ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٢٢٧١.

بمكة لا يؤذون في اظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام فقبلت قريش ذلك[١] وقد التزم النبيّ (ﷺ) بتعهّده هذا وعمل به .

وفي فتح مكة ترك النبيّ (ﷺ) قريشاً على سجيّتها ولم يحمّل أحداً على اعتناق الإسلام . فالعقيدة لا تفرض بل لا يمكن أن تفرض من الخارج ... كل ما في الأمر أن المجال كان مفسوحاً أمام الجميع لمعرفة هذا الدين الجديد والاطلاع على تعاليمه .

وقد أمر النبيّ (ﷺ) المسلمين أن لا يقتلوا أحداً في مكة باستثناء عدّة أشخاص كانوا يؤذون النبيّ(ﷺ) [٢] .

وعندما كان الكفار يطلبون الأمان من الرسول (ﷺ) كان يعطيهم ما أرادوا ليكون إسلامهم فيمابعد عن بحث وتحقيق ... وليس بدافع الخوف على أنفسهم .

ومثالاً على ذلك صفوان بن أمية وكان أيضاً شديداً على النبيّ(ﷺ) فهرب خوفاً الى جدّة فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إنّ صفوان سيّد قومي وقد خرج هارباً منك فآمنه . قال هو آمن وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه ، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال : إنه أحلم الناس وأوصلهم وأنه ابن عمك وعزّه عزّك و شرفه شرفك. قال : إنّي أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال لرسول الله(ﷺ) إن هذا يزعم انك آمنتني . قال: صدق . قال : اجعلني بالخيار شهرين قال : انت فيه أربعة أشهر، فأقام كافراً وشهد معه حنيناً والطائف ثم أسلم[٣] .

---

١ - البحار : ٢٠ ص ٣٥٠ .
٢ - اعلام الورىٰ : ص ١١٠ .
٣ - الكامل لابن الأثير : ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وهكذا يصبح واضحاً أن الحرب في الإسلام إنّما هي لأولئك الذين عرفوا الحقّ جيّداً وأدركوه بجلاء ... ولكنهم مع ذلك كلّه يحاربونه ويحاولون القضاء عليه، والأمر الذي يعتبر أيضاً قضاء على سعادة الآخرين.

إن الإسلام لم يشرع تجريد السيف إلّا لإطفاء الفتن ولإنقاذ الشعوب المضطهدة ولإيجاد المناخ الملائم للتكامل البشري المنشود.

وانّ ايمان المسلمين الأوائل واستقامتهم خير دليل على أن الإسلام لم ينتشر بقوّة السيف.

لقد كان مسلموا الصدر الأوّل للإسلام شديدي التعلّق بدينهم وكانوا يواجهون جميع المشاكل التي تعترض مسيرتهم بروح عالية ... وبصبر لا مثيل له.

وأحد من هذه الطليعة بلال الحبشي الذي كان أبو جهل ـ بعد ما علم باسلامه ـ يطرحه على الرمضاء المحرقة، ويضع فوقه صخرة كبيرة ...

رمضاء محرقة ... وثقل مؤلم وهجير لافح ... وأبو جهل يزمجر: أكفر بربّ محمّد ... فماذا كانت النتيجة ...

وتصفّح أبا جهل كلمات ينطق بها هذا الانسان المعذَّب ... أحد ... أحد... أحد [1].

هذه صورة نقدّمها عن الاستقامة التي كان المسلمون الأوائل يتحلّون بها ... فهل باستطاعة أحد بعد ذلك أن يقول إنّ الإسلام انتشر بالسيف ؟ لقد فات أعداء الإسلام الذين يروّجون هذه الشبهة الواهية التي ظنّوا ـ بعد بحث وتفتيش ـ أنّها نقطة الضعف في الإسلام ... لقد فاتهم أنّ هذا الدين الخالد انما ينتشر لمقوّمات وخصائص فيه ... فهو دين الفطرة ... وهو دين

---

١ ـ أسد الغابة : ج ١ ص ٢٠٦.

العدالة ... ثم هو دين شامل لجميع نواحي الحياة .

فهذا الدكتور غوستاف لوبون يعجب بمسيرة الإسلام وتقدّمه السهل المحيّر، وبخلوده في كل بقعةٍ دخلها المسلمون، ويعتبر ذلك من خصائصه [١] . ويقول كاتب مسيحي آخر :

قد كان للروابط التجارية والثقافية بين البلاد الإسلامية وغيرها أثر في انتشار و توسع المدّ الاسلامي يفوق الفتوح العسكرية بمراحل.

---

١ - الحضارة الاسلاميّة والعربيّة : ص ٨٠٧ .

دوافع حروب النبي (ص)
و احصاء القتلى فيها

إيديولوجيّة التفاهم الدولي :

كان النبيّ الأعظم (ﷺ) لا يلجأ الىٰ السيف إلّا إذا تطلّبت الظروف ذلك، حيث تقف العقبات حائلاً دون تقدّم الدّعوة الإسلاميّة... وحيث يكون الظلم والاستبداد ... حينئذٍ يأتي دور السيف ليزيل العقبات ويمحو الظلم ... ويرفع راية الحقّ والعدالة ...

وهكذا كان (ﷺ) علىٰ العكس تماماً ممّا نعرفه من مسيرة الأغلبيّة من قادة العالم الذين يحاربون لأغراض توسّعيّة ولامتصاص الثّروات الطبيعيّة و الانسانيّة ...

أجل ... إنّ الحروب التي وقعت في زمان النبيّ (ﷺ) كانت تستهدف إعادة الحق إلىٰ نصابه وإزاحة تلك الطبقة النفعيّة التي كانت تستعبد عباد اللّه، وتستهدف أيضاً إقامة حكم عادل منصف يحقق أطروحة التعايش الدولي المنشود .

وحرب كهذه هل يمكن أن تكون عدوانيّة لا مشروعة ؟! إنّ من البديهي أنّ الحرب ضروريّة لكل نبيّ لأنه ليس ثمّت من طريق آخر يمكنه سلوكه فيما إذا جُوبه وحُورب .

إنّ النبيّ عيسىٰ ﷺ لم يجرّد السيف لأنّ مدّة نبوّته كانت قصيرة ولم

تكن الشروط مساعدة له على ذلك ... ولولا ذلك لكان هو أيضاً قد اتبع نفس الأسلوب الّذي اتبعه النبيّ(ﷺ) ليقتلع الفساد من الجذور.

ومن هنا فإنّ حركات التبشير المسيحيّة تتعسّف وتخبط حين تركز على أعداد القتلى في حروب النبيّ(ﷺ) وتضخمها حسب ما تشتهي. وتؤكد على أنّ هذه الحروب كانت ذات طابع إجراميّ، ونحن نرى أنّ الهدف من هذا الاعتساف شيئان:

الأوّل: إضعاف الرّوح الثوريّة في الشعوب الإسلاميّة، الأمر الّذي ينتج عنه تقلّص المدّ الإسلاميّ الذي يتسع يوماً بعد يوم.

الثاني: محاولة يائسة لتبرير الجرائم الفاضحة التي ارتكبها زعماء الكنيسية في محاكم التفتيش وفي الحروب الصليبيّة حين قتلت الملايين من الأبرياء.

وسنحاول هنا أن نبيّن باختصار دوافع حروب النبيّ(ﷺ) وبعد ذلك نقدّم ثبتاً بأعداد القتلى لكي تتضح الحقيقة ... وليدرك القرّاء الأعزّاء فلسفة هذه الحروب ويطلعوا على الرقم العادي الذي يشكّله عدد القتلى.

١ ـ حرب بدر:

بقي النبيّ (ﷺ) مع اصحابه بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً في مكة يتحمّل الأذى في جنب اللّه متجنّباً إراقة الدماء ... وفي النهاية اضطر(ﷺ) إلى أن يغادر مسقط رأسه ويهاجر إلى المدينة المنوّرة ... ولكن مع ذلك لم يكف الكفار عن ايذائه ... وكانوا يعذّبون المسلمين العزّل ولا يسمحون لهم بالهجرة من مكّة [١].

---

١ ـ بحار الانوار: ج ١٩، ص ١٤٣.

وكانوا أيضاً قد صمّموا علىٰ أن يضربوا علىٰ النبيّ(ﷺ) وأصحابه حصاراً اقتصادياً شديداً . ومنعوا القوافل من نقل المواد الغذائية إلىٰ المدينة ... ولقد استمرّ هذا الحصار زمناً طويلاً ... مما أوقع أهل المدينة في ضائقة وعسر واضطرهم للسفر إلىٰ سواحل البحر الأحمر للحصول علىٰ المواد الغذائية اللازمة [١].

وكان أبو جهل قد أرسل رسالة شديدة اللهجة إلىٰ النبيّ(ﷺ) وهدّده فيها بغزوه والهجوم عليه [٢].

و هنا نزلت الآيتان الكريمتان :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللّهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٣].

ولأجل الدّفاع عن الحقوق الحياتيّة للمسلمين ... ولكي يفوّت النبيّ(ﷺ) الفرصة علىٰ المشركين، خرج لمواجهة قريش في العام الثاني للهجرة ... وتمّت المجابهة في بدر[٤]، مع أنّ المسلمين كانوا ثلث الكفار عدداً فقد أحرزوا النّصر بقوّة الإيمان وإرادة اللّه سبحانه [٥].

---

١ - محمّد ستاره‌ای كه دّرْ مكّه دَرَخشيد (فاسی) : ص ٩٢.

٢ - بحار الأنوار : ج ١٩، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦. ٣ - الحج : ٣٩ ـ ٤٠.

٤ - بدر منطقة بين مكّة والمدينة ... وتبعد عن المدينة حوالي (١٧٠) كيلو متراً..

٥ - الكامل : ج ٢، ص ١١٨، اعلام الورىٰ ص ٧٦.

٢ ـ حرب أحد :

بعد أن قتل في بدر عدّة من المشركين أخذت قريش تعد العدّة للانتقام ... وجهّزت جيشاً إلىٰ المدينة وفي منطقة «أُحد» تمّت المجابهة بين جيش الإسلام والكفر ... ولأنه فئة من المسلمين لم تلتزم بالخطة التي كان قد وصفها النبيّ(ﷺ) فلم يربح المسلمون المعركة [١] .

٣ ـ الأحزاب ـ الخندق :

في السنة الخامسة للهجرة ذهب عدّة من يهود بني النضير إلىٰ مكّة لتحريض قريش علىٰ المسلمين ... واغتنمت قريش الفرصة فجهزّت جيشاً جرّاراً من قبائل مختلفة .

ولكي يؤمّن المسلمون الحماية الكاملة لعاصمتهم اضطروا أن يحفروا خندقاً حول المدينة وكان جيش المشركين مؤلّفاً من عشرة آلاف رجل ولكن هزم بعد أن قتل عليّ عليه السلام قائده الشرس عمرو بن عبد ود العامري وكان النصر بإذن اللّه للمسلمين [٢] .

٤ ـ بنو قريظة :

كان بنو قريظة [٣] قد عقدوا مع النبيّ (ﷺ) معاهدة صلح، ولكنهم نقضوها وحاربوا في وقعة الأحزاب إلىٰ جانب قريش ... ولم ير النبيّ(ﷺ) بدّاً من حربهم وذلك لخطرهم علىٰ الإسلام بعد أن نقضوا العهد وأصبحوا محاربين، وأصدر النبيّ (ﷺ) أمره للجيش بعد حرب

---

١ ـ الطبقات القسم الاول : ص ٢٥ ـ ٢٩ . ٢ ـ الطبري : ج ٣ ص ١٤٦٣ ـ ١٤٧٦ .

٣ ـ من يهود أطراف المدينة .

الخندق بالتوجه إليهم ... وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يوماً، وبعدها استسلم الأعداء ...

وجاءت الأوس تطلب من رسول الله (ﷺ) الصفح عنهم، فسألهم عما إذا كانوا يرضون بتحكيم سعد بن معاذ الّذي هو من كبار الأوس فيهم فقبلوا ... ظناً منهم أنّ سعداً سيعفو عنهم ... ولكنه بدلاً من ذلك حكم بقتل المحاربين من رجالهم، وتقسيم أموالهم، وسبي الذراري والنساء.

فقال رسول الله (ﷺ) لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله،[١] وقتل كل المحاربين منهم.

٥ ـ حرب بني المصطلق:

بنوا المصطلق فئة من قبيلة خزاعة. وكانوا قد ناؤوا المسلمين ... وقد بلغ النبيّ (ﷺ) تآمرهم على الاسلام فتوجّه إليهم بجيش من المسلمين ليحول دون تنفيذ مخططاتهم ... وتمت المجابهة معهم في مكان اسمه المريسيع، وكان النصر للمسلمين. وقد وقعت هذه الحرب في السنة السادسة للهجرة.[٢]

٦ ـ خيبر:

في حصون خيبر كانت تعيش طائفة كبيرة من اليهود يبلغون أربعة عشر ألفاً وكان لهم مع كفار قريش روابط اقتصادية وعسكريّة، وكان ذلك يهدّد أمن المسلمين وسلامتهم ولذلك هاجمهم المسلمون في السنة السابعة للهجرة، وبعد المحاصرة و الحرب استسلموا للدولة الإسلاميّة[٣].

---

١ ـ الطبري: ج ٣ ص ١٤٨٧ ـ ١٤٩٣.
٢ ـ الكامل لابنه الأثير: ج ٢، ص ١٩٢.
٣ ـ الطبقات: ج ٢ ص ٧٧ ـ ٧٨.

٧ ـ مؤتة :

في السنة الثامنة للهجرة أرسل النبيّ(ﷺ) الحارث ابن عمر إلى ملك بصرى [١] وحمل رسالة إليه، وعندما وصل رسول النبيّ (ﷺ) إلىٰ مؤتة قتل ، وامر النبيّ المسلمين بالخروج لحرب العدو وكانت المواجهة في مؤتة مع جيش هرقل ملك الروم المؤلّف من مأة ألف مقاتل من الروم وغيرهم . ودارت حرب شديدة طاحنة قُتل فيها قادة الجيش الاسلامي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد اللّه بن رواحة ... ولم يستطع المسلمون مواصلة القتال فرجعوا إلىٰ المدينة[٢] .

٨ ـ فتح مكّة :

في صلح الحديبيّة عقدت معاهدة بين المسلمين والمشركين، علىٰ المشركين بموجبها أن لا يتعرّضوا للمسلمين ولا لحلفائهم ولكنهم نقضوا هذه المعاهدة واتفقوا مع بني بكر علىٰ إبادة بني خزاعة الذين كانوا من معاهدي المسلمين وحلفائهم، ولكي يضع النبيّ(ﷺ) حدّاً لهذه التجاوزات وضع خطة لفتح مكّة ... ونفّذت الخطة ... ودخل المسلمون هذا البلد الشريف ... وفي بيت اللّه الحرام قال النبيّ (ﷺ) خطابه التاريخيّ : ...

« ألا لبئس جيران النبيّ كنتم : كذبتم وطردتم وأخرجتم وقلتم ثم مارضيتم حتىٰ جئتموني في بلادي فقاتلتموني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء ؟ فخرج القوم كأنما نشروا من القبور »[٣] .

---

١ ـ موضع بالشام .
٢ ـ الطبقات : ج ٢ القسم الاول، ص ٩٢ ـ ٩٤ .
٣ ـ اعلام الورىٰ : ص ١٠٤ ـ ١١٢، بحار الأنوار : ج ٢١ ص ١٠٦ .

وقد كان من آثار التسامح والعفو العظيم أن أقبل المكّيّون علىٰ دين اللّه أفواجاً أفواجاً.

وفي هذا الفتح أمر النبيّ (ﷺ) المسلمين ان لا يحاربوا إلّا دفاعاً عن أنفسهم ولكنّه أباح دم ثمانية من المشركين ... وقتل منهم أربعة ... ولم تقع مجابهة إلّا بين مجموعة من المسلمين كان يقودها خالد بن الوليد ومجموعة أُخرىٰ من المشركين كان يقودها عكرمة بن أبي جهل ... وقتل فيها عدّة أشخاص[١]

٩ ـ حنين ـ هوازن :

مع أن قبيلة هوازن كانت تعلم أن النبيّ (ﷺ) لا ينوي التعرّض لها فقد جهّزت جيشاً لحرب الإسلام ... فجهّز النبيّ(ﷺ) جيشاً قوامه إثنا عشر ألف مقاتل ... وبعد التقاء الجيشين في وادي حنين هُزم الكفّار واستسلموا[٢].

وبعد هذا الحرب قصد النبيّ (ﷺ) الطائف لحرب قبيلة ثقيف التي كانت تعاونت مع هوازن علىٰ حرب المسلمين ... وبعد مدة من محاصرة ثقيف صرف رسول اللّه(ﷺ) النظر عن فتح ديارها وعاد إلىٰ مكّة[٣].

وغير هذه الحروب كانت سفرات تبليغيّة ومواجهات محدودة ... وها نحن نقدّم إحصاء بالقتلىٰ المسلمين والكافرين في جميع الحروب التي دارت في زمان النبيّ (ﷺ). معتمدين علىٰ المصادر التاريخيّة المعروفة. (أنظر الصفحة التالية).

---

١ ـ الكامل لابن الأثير : ج ٢ ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠ . ٢ ـ بحار الانوار : ج ٢١، ص ١٤٩ .

٣ ـ السيرة لابن هشام، القسم الثاني : ص ٤٨٢ .

اسم الحرب	تاريخ الخميس	السيرة لابن هشام	تاريخ اليعقوبي	الطبقات	بحار الانوار	تاريخ الطبري
بدر	٨٤	٨٤	٨٦	٨٤	٨٤	٨٤
أُحد	٩٣	٩٢	٩٠	١٠٩	١٠٩	٧٠
الخنـدق	٩	٩	١٤	١١	٩	٩
بنوقريظة	٨٠٠	٨٥٠	٧٥٠	٧٠٠	٩٠٠	٨٥٠
بنو المصطلق	١٢	–	–	١٠	١٠	–
خيبر	٣٢	٢٣	–	٩٨	–	–
مؤتة	٢١	١٣	–	١٣	–	٣
فتح مكّة	٣٩	٢٠	–	٣٣	–	٢١
حنين والطائف	٩٦	١٠١	–	٨٧	١١٢	٨٥
بقية الحروب	٢٥٠	١٢٢	–	١١٩	٣٣٣	٢١٠

توضيح :

١ ـ عند اعداد هذا الإحصاء أخذنا بالحد الأكثر عند اختلاف الروايات وحيث لم نتمكن من تعيين العدد تركنا المكان خالياً .

٢ ـ « تاريخ الخميس » الذي جعلناه أحد مصادرنا هنا عبارة عن مجموعة منتخبة من عشرات الكتب في التفسير والتاريخ والحديث .

ولاشك أن القاريء العزيز قد لاحظ أن حروب النبيّ (ﷺ) لم تكن بهدف التوسع والاعتداء وانما كانت كل هذه الحروب لوضع الحد لناقضي العهود المعتدين ... ولحفظ استقلال المسلمين ... والدفاع عنهم ... ولإعلاء كلمة الحق .

عالميّة الاسلام

الإسلام دين الشرق والغرب :

ظهر الإسلام منذ يومه الأول كالمعين الصافي الزلال، ثم أخذ ينمو ويتسع أكثر فأكثر الىٰ أن بدا كالنهر العظيم المتدفق يسقي الانسانية في مختلف بقاع الأرض فيرويها .

وكان الإسلام كلما انتشر ازداد اتساعاً وعمقاً وقد استطاع بصدق أن يخلص البشرية من كل الأنظمة الخاطئة ويرشدها الىٰ طريق الخير والسعادة . وقد استمر في الانتشار بالرغم من السياسات الاستعمارية العالمية وبالرغم من النشاطات التحريفية التي كان يقوم بها أعداء الإسلام من أجل القضاء علىٰ جذوره . ويتمتع الإسلام بكثير من المقومات ومنها الخلود والعالمية، وعلىٰ أساس هذين الأمرين العظيمين وضع قوانينه وتشريعاته .

ان خاصية الإسلام الكبرىٰ هي مطابقة للفطرة البشرية التي تلامس قضايا الناس جميعاً في كل مكان أو زمان ويقوم عليها اساس حياتهم . وبناءاً علىٰ هذا فان الذين يقولون : ان الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن لنبي شرقي أن يقوم بقيادة الغرب، من يدعي هذا فهو مخطيء خطأً شديداً لأنه لافرق بين الشرق والغرب من جهة الفطرة، فكما أن الانسان الشرقي يحتاج الىٰ دين فطري فكذلك الغربي ايضاً .

من مكة دعىٰ النبيُّ العالم الىٰ الإسلام :

عندما أطلق النبيّ (ﷺ) شعار التوحيد في فضاء مكة المظلم لم يكن قصده (صلوات الله عليه) أن يصلح منطقة الحجاز والمنطقة العربية ... بل كان مأموراً أن يبدأ رسالته العالمية من المحيط العربي ...

والشاهد علىٰ ذلك ما قاله في بدء دعوته مخاطباً عشيرته الأقربين .

﴿ إني رسول اللّه إليكم خاصّة والىٰ الناس عامّة ﴾ [١] .

ويؤيد هذه الحقيقة من القرآن الكريم عدّة آيات نذكر منها ثلاثة :

١ ـ قل يا أيُّها الناسُ إني رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَميعاً [٢] .

وأنت تلاحظ أن الخطاب لم يستعمل كلمة (العرب) أو (الشرقيين) وانما الخطاب يشمل جميع الناس من شرقيين وغربيين .

٢ ـ ومَا أرْسَلْناك إلاّ رَحْمةً للعالَمينَ [٣] .

٣ ـ وَأُوحِيَ إليّ هذا القُرآنُ لأُنذِرَكُمْ بِه وَمَنْ بَلَغَ [٤] .

يظهر جلياً من هذه الآيات أن رسالة النبيّ (ﷺ) عالمية، ولم تكتسب هذه الصفة ـ بعد ذلك ـ في المدينة عند انتشار الإسلام بل كانت منذ ابتدائها شاملة لجميع الأزمنة والأمكنه .

قال الامام الصادق ﷺ جواباً للرجل الذي سأله : مابال القرآن لا يزداد علىٰ النشر والدرس الاّ غضاً ؟ فقال :

لأن اللّه تبارك وتعالىٰ لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض الىٰ يوم القيامة [٥] .

---

١ ـ كامل التواريخ : ج ٢، ص ٦١، طبع بيروت سنة ١٣٨٥ .

٢ ـ سورة الأعراف : الآية ١٥٨، يذكر في مجمع البيان : ج ٤، ص ٣٣٩، إن هذه الآية نزلت في مكة

٣ ـ سورة الأنبياء : ١٠٧ .

٤ ـ سورة الأنعام : ١٩ .

٥ ـ سفينة البحار : ج ٢، ص ١٣ .

شاهد آخر علىٰ عالمية الإسلام :

في السنة السادسة من الهجرة أرسل النبيّ (ﷺ) رسائله الىٰ حكام العالم ووسمها بكلمة (محمّد رسول اللّه) ودعاهم الىٰ الإسلام، ومعنىٰ هذه الرسائل واحد وهو الدعوة الىٰ عبادة اللّه والوحدة والتآخي في اللّه. ولأن هذه الدعوة كانت بأمر من اللّه وانذاراً للناس فقد أثرت فيهم أثراً عميقاً وملفتاً للانظار بحيث قبل هذه الدعوة كل باحث عن الحقيقة كالنجاشي والمقوقس وغيرهم.[١]

وتدل التحقيقات التي أجريت حول الرسائل التي أرسلها النبيّ (ﷺ) الىٰ الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب الأديرة أنها تزيد علىٰ اثنتين وستين رسالة نعرف منها ٢٩ رسالة [٢] ونحن نذكر بعضها:

١ ـ لكسرىٰ ملك الفرس :

بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ من محمّد رسول اللّه الىٰ كسرىٰ عظيم فارس. سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ وآمن باللّه ورسوله وشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده، لاشريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الحق فاني أنا رسول اللّه الىٰ الناس كافة ؛ لأنذر من كان حياً ويحق القول علىٰ الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس.[٣]

٢ ـ لهرقل ملك الروم :

بسم اللّه الرحمن الرحيم : من محمّد بن عبد اللّه الىٰ هرقل عظيم الروم . سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين فان تولّيت فانما عليك إثم الاريسيين[٤].

---

١ ـ كامل التواريخ : ج ٢، ص ٢١٠.

٢ ـ مكاتيب الرسول : ج ١، ص ٤١ ـ ٣٥ و ص ١٨٢ ـ ٩٠.

٣ ـ مكاتيب الرسول : ج ١، ص ٩٠.

٤ ـ اختلف العلماء في ضبط هذه اللفظة، ومحصل ما قالوا في معناها انهم كانوا قوماً عرفوا بالاثم

﴿ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوا الىٰ كَلِمةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إلاّ اللّهَ وَلا نُشْرِكَ به شَيئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإن تَوَلّوا فَقُولوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ ﴾.[1]

ولم تكن رسائل النبيّ (ﷺ) منحصرة في الملوك فقط ولكن كان يرسلها الىٰ الشعوب وأصحاب الديانات المختلفة كي يطلعوا علىٰ بزوغ شمس الإسلام.

٣ ـ الىٰ والي اليمن هوذة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ من محمّد رسول اللّه الىٰ هوذة بن علي سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ وأعلم أن ديني سيظهر الىٰ منتهىٰ الخف والحافر ـ أي حيث تقطع الابل والخيل ـ فأسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك.[2]

٤ ـ الىٰ اليهود:

بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ « من محمّد رسول اللّه » (ﷺ) أخي موسىٰ وصاحبه بعثه اللّه بما بعثه به، اني انشدكم باللّه وما أنزل علىٰ موسىٰ يوم طور سيناء، وفلق لكم البحر وأنجاكم وأهلك عدوكم وأطعمكم المن والسلوىٰ وظلل عليكم الغمام هل تجدون في كتابكم أني رسول اللّه اليكم والىٰ الناس كافة فان كان ذلك كذلك فاتقوا اللّه وأسلموا وان لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم.[3]

٥ ـ الىٰ أسقف نجران:

باسم إله ابراهيم واسحاق و يعقوب، من محمّد النبيّ رسول اللّه الىٰ اسقف نجران ... أما بعد فاني أدعوكم الىٰ عبادة اللّه من عبادة العباد وأدعوكم الىٰ ولاية اللّه من ولاية العباد، فان أبيتم فالجزية فان أبيتم

ـ بين الروم تلك الأيام.

٢ ـ السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٢٨٦.

١ ـ مكاتيب الرسول: ص ١٠٥.

٣ ـ مكاتيب الرسول: ج ١، ص ١٧٢.

آذنتكم بحرب والسلام [١] .

وظيفتنا في تبليغ الإسلام :

إن تقدم الإسلام مدين قبل كل شيء لجهود النبيّ (ﷺ) المتتالية وسهره الدائم هو وأصحابه الأوفياء، وقد استفاد النبيّ (ﷺ) في ذلك من قوّتين هما :

الأُولىٰ : المبلغون الذين أدركوا حقيقة الإسلام والذين كان لهم صلة متينة بالنبي (ﷺ) وايمان عميق به .

الثانية : الرسائل التي كانت تدل علىٰ تعاليم حياة أفضل وتعكس الإسلام بشكل واضح . وبالرغم من عدم وجود الرسائل اللازمة لتبليغ الإسلام عند النبيّ (ﷺ) فقد أرسل رسله الىٰ انحاء العالم .

ولاشك ان روح النبيّ (ﷺ) تنتظر من المجتمع الاسلامي ان يبلغ رسالة الإسلام ويستفيد من الوسائل الجديدة وأسلوب في ذلك لينشر تعاليم الإسلام في العالم كله .

يجب علينا ان نوظف كل امكانية نملكها من أجل تبليغ الرسالة الاسلامية التي هي عامة لكل الناس كما تقدم . ويجب أن لا نأسف علىٰ بذل مايلزم في هذا الطريق من التضحيات لنشر الإسلام كي نهدي اخواننا في الشرق والغرب الىٰ المعين الذي يمدهم بالحياة . ونعيش بالتالي في دنياً ملائىٰ بالفضيلة والخدمة تماماً كما قال النبيّ (ﷺ) لعلي (عليه السلام) .

« وأيم اللّه لأن يهدي اللّه علىٰ يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولائه ياعلي » [٢] .

* * *

١ - البداية والنهاية : ج ٥، ص ٥٣ .

٢ - بحار الأنوار : ج ٢١، ص ٣٦١ .

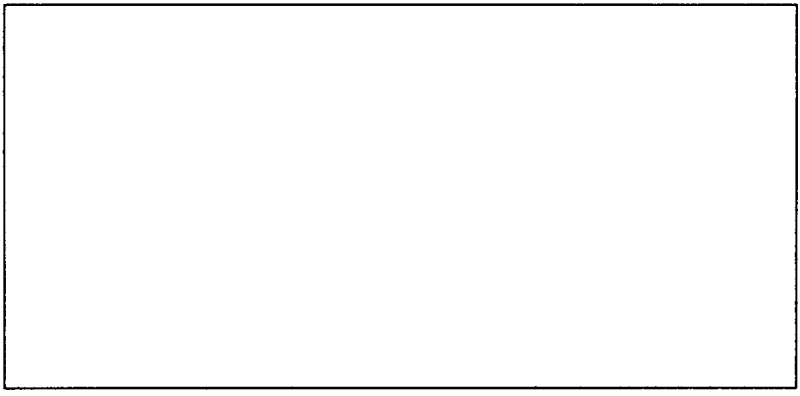

محمّد (ص) خاتم الانبياء

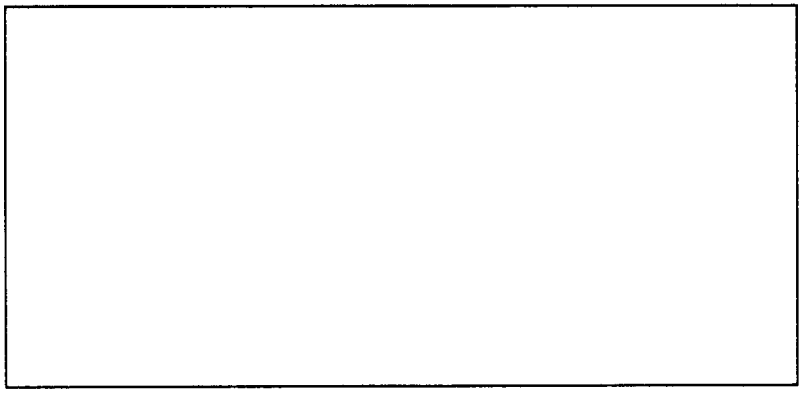

خلود الإسلام و خاتمية النبيّ محمّد(ﷺ)

خاتمية النبيّ الأعظم (ﷺ) كوحدانية اللّه سبحانه من المسلمات والحقائق الواضحة عند جميع فرق المسلمين . والدين الإسلامي يبقىٰ جديداً أبداً وكلما اتسعت آفاق البشرية واتضحت رؤيتها وتحددت، اتضح خلود هذا الدين وظهرت عجائبه .

وسنحاول هنا ان نتناول هذه المسألة المهمة ... أبدية هذا الدين وخلوده ، وفي البداية سنذكر أهم العلل والمقومات التي تجعل المبدأ أبدياً ثم ننتقل الىٰ تقصي ذلك في الإسلام :

١ ـ انسجام المبدأ مع الفطرة من أهم علل أبديته فالدين الذي يتركز علىٰ أساس من فطرة الإنسان وواقعه يحفظ نفسه من الاندثار... ويؤمن أسباب خلوده وصلاحيته لكل زمان رغم ما يحدث من تطورات وما يستجد من مشاكل .

٢ ـ حينما تكون نصوص المبدأ مرنة يكون عمرها أطول منه حين مالايكون كذلك ... لأنها عندما تكون مرنة غير مرتبطة بزمان أو مكان ... ولا ذات طابع خاص يمكن أن تلبي الحاجة التشريعية رغم تبدل الأزمنة والأمكنة ... وتبقىٰ حية كأنها وضعت لتعالج المشاكل المعاشة فعلاً .

أما القوانين التي لا تتصف بالمرونة والتي وضعت لحالة خاصة ووقت معين، فلا يمكن أن تنال حظاً من البقاء ... فمثلاً اذا قيل : أن علىٰ الناس أن لا يستعملوا في تنقلهم إلّا وسائط النقل الطبيعية كالفرس وما شابهه من الحيوانات الأخرىٰ . فإنّ هذا القانون لا يمكن له أن يدوم، وذلك لأن الحاجة الملحة تفرض علىٰ الناس أن يستعملوا وسائل نقلية اخرىٰ تم صنعها والاهتداء اليها وهذه الوسائط توفر وقتاً وجهداً الىٰ غير ذلك .

والواقع ان احدىٰ العلل التي بسببها اندثرت الأديان القديمة هي أنها لم تكن تملك قابلية البقاء ... وكانت خاصة بمجتمع معين في وقت معين.

٣ ـ الشمول. الدين الخالد لابد وأن يكون شاملاً كاملاً بمعنىٰ أنه لايترك واقعة من وقائع الحياة إلّا ويضع لها حكماً ... ولايترك مشكلة من المشاكل إلّا ويقدم لها حلاً ... ولا مسألة من المسائل التي هي موضع حاجة الناس إلّا ويضع لها جواباً ...

أجل فإنّ الروح البشرية العطشىٰ لايمكن ان تروىٰ بسلسلة تشريعات جافة لاروح فيها من قبيل العشاء الرباني وشرب الخمر ولبس الصليب كقلادة وغير ذلك.

٤ ـ الحل عند الضرورة

ومن الأشياء التي لابد من توفرها في المبدأ لكي يتخذ طابع الأبدية ... أن يقدم للإنسان الحل عندما يصل الىٰ طريق مسدود ... فالمقررات العامة والقوانين التي يقدمها المبدأ قد تتعارض فيما بينها أحياناً كما في موارد الضرورة.

مثلاً بناء علىٰ تحريم شرب الخمر ... ووجوب الحفاظ علىٰ النفس يتعارض هذان الحكمان في مورد يتعين الخمر علاجاً لمريض. فيصبح هذا المريض في طريق مسدود لا يدري بأي الحكمين يلتزم ؟

إذن ـ بالاضافة الىٰ المقررات العامة ـ لابد من تقديم الحل عند الضرورة.

هذه ـ بايجاز ـ أهم علل بقاء ودوام المبدأ وسنرىٰ فيما يلي وبايجاز أيضاً ما إذا كانت هذه المقومات قد روعيت في التشريع الإسلامي أم لا.

الإسلام الدين الخالد

١ ـ الانسجام مع الفطرة : ان القوانين والتشريعات الإسلامية قد لوحظ فيها حين تقنينها وتشريعها فطرة الإنسان وحاجته ... ولذلك جاءت هذه التشريعات كفيلة بتأمين التوازن بين غرائز الإنسان. مثلاً الغريزة الجنسية قدم لها الإسلام حلولاً مختلفة وواضحة يمكن عن طريقها ارضاء هذه الغريزة كما يمكن ايضاً وضع الحد لطغيانها وافراطها الذي يكون سبباً في

كثير من المفاسد والمشاكل التي تصيب .

٢ ـ العمومية : القوانين الإسلامية ليست ذات طابع خاص بحيث تكون محدودة بزمان أو مكان حتىٰ تلتزم بتغييرها مع مرور الزمان أو تبدل المكان ... بل هي عامة ملحوظ فيها جميع الأزمنة والأمكنة وتمام الحالات والأوضاع ... مثلاً : الجهاد في الإسلام لايتخذ طابعاً خاصاً يجعله محدوداً كايجاب الحرب بالسيف، بل يلزم المسلمين أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ليستطيعوا الدفاع عن حقوقهم الحيوية واحراز النصر في ميدان الحرب ...

وهذا الحكم كلي ينسجم مع جميع الأزمنة والحالات ...

وهكذا فإن القوانين الإسلامية الأصلية الأُخرىٰ تعتبر مباديء وقوانين عامة توضح لنا حكم كل واقعة خاصة .

٣ ـ الشمول : الدين الإسلامي أكثر الأديان شمولاً ... ولقد تناول المسائل الاقتصادية والعسكرية والحقوقية والأخلاقية وغير ذلك ... تناولاً متيناً دقيقاً تقف عقول العلماء عاجزة متحيرة . ولايفتقر هذا الادعاء العريض الىٰ الدليل إذا مالاحظنا آلاف الكتب التي ألفها العلماء المسلمون في هذه الميادين والتي تستمد من معين القرآن الكريم وأحاديث النبيّ (ﷺ) وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

٤ ـ الحل عند الضرورة في موارد الحاجة : نجد أن الإسلام وضع قوانيناً عامة تعين وظيفة الإنسان من قبيل : قانو ن « لاضرر ولاضرار في الإسلام »، ومن قبيل « الضرورات تبيح المحظورات » ومن قبيل « ماجعل عليكم في الدين من حرج » [1] وبالإضافة الىٰ ذلك فان للنّبيّ (ﷺ) أو الامام المعصوم (عليه السلام) أو الفقيه الخبير بالشريعة الإسلامية أن يعين الوظيفة طبقاً لقواعد معينة ليس محل تفصيلها هنا .

---

١ ـ قانو ن الاضطرار يجري في مورد العسر، وقانون الحرج يجري في مورد المشقة والتعب الشديد، وقانون الضرر يجري في مورد الضرر . وشرائط جريان كل قانون من هذه القوانين وخصوصياته مذكورة في كتب الفقه الإسلامي وعلم اصول الفقه، فعليكم بالرجوع اليها أو الىٰ اساتذتها لمعرفة التفاصيل .

وهكذا، فان هذه المقومات جميعها موجودة في الإسلام ... وبهذا يثبت أنّا لسنا بحاجة الىٰ تشريع آخر لأنّا انما نكون بحاجة إليه حين نفقد التشريع الذي يلبي جميع حاجاتنا ...كما يثبت أنّا لا نحتاج الىٰ نبيّ جديد ليأتي بتشريع صالح ... والمفروض انا نمتلك مثل هذا التشريع ... فعدم الحاجة الىٰ تشريع جديد هو عبارة اخرىٰ عن عدم الحاجة الىٰ نبيّ جديد ... وخاتمية التشريع الإسلامي تعني خاتمية النبيّ محمّد (ﷺ) للأنبياء جميعاً صلوات اللّه عليهم ...

الخاتمية في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم شمولية الشريعة الإسلامية وخاتمية النبيّ (ﷺ) في آيات عديدة نذكر منها :

١ ـ وَتَمّت كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدقاً وَعَدلاً لامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُو السَّمِيعُ العَلِيمُ [١].

٢ ـ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُم وَلٰكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيينَ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً [٢].

وكلمة (خاتم) بفتح التاء أوكسرها عندما تضاف الىٰ الجمع تكون بمعنىٰ آخر، وخاتم النبيين يعني آخر النبيين [٣]، والنبيّ أعم من الرسول[٤] وبناء عليه فان جميع رسل اللّه وأنبيائه يطلق عليهم أنبياء، واذن فالآية الكريمة تقول خاتم النبيين فانها تقول أنه (ﷺ) خاتمهم جميعاً ولا يأتي بعده نبيّ ولا رسول ولا صاحب كتاب ولاغير ذلك.

٣ ـ إِنَّ هٰذَا القُرآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ [٥].

---

١ ـ الانعام : ١١٥، تفسير الميزان : ج ٧، ص ٣٤٨، تفسير منهج الصادقين : ج ٣، ص ٤٣٩.

٢ ـ الاحزاب : ٤٠. ٣ ـ لسان العرب مادة « ختم ».

٤ ـ صرح بذلك العلماء والمفسرون اعتماداً علىٰ اللغة والقرآن والحديث ، للتأكيد راجع جامع الجوامع ص ٢٧٥ ، تفسير الميزان : ج ٢ ، ص ١٤٤ ، تفسير الكشاف : ج ٣ ، ص ١٦٤ ، تفسير البيضاوي ص ٤٤٧ ، مجمع البيان : ج ٧ ، ص ٩١ ، روح المعاني : ج ٢٢ ، ص ٣٢ وغير ذلك.

٥ ـ سورة الاسراء : ٩.

هذه الآية تدلنا علىٰ أن القرآن هو الدستور الأكمل والمنهاج الأقوم، وطبيعي أنه والحالة هذه لاحاجة بنا لدستور آخر.

الخاتمية في الأحاديث الشريفة :

لقد ورد ذكر الخاتمية في المصادر الإسلامية بكثرة . لاتدع مجالاً للشك بها ... وسنذكر هنا بعض الروايات:

قال النبيّ (ﷺ) **أيها الناس إنه لا نبيَّ بعدي ولا سنة بعد سنتي فمن ادعىٰ ذلك فدعواه وبدعته في النار ومن ادعىٰ ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فهو في النار الخبر** [١].

وقال الباقر والصادق عليهما السلام : « **لقد ختم اللّه بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء** » [٢].

وقال علي (عليه السلام) « **فقفي به الرسل وختم به الوحي**»[٣].

وقال النبيّ (ﷺ) : « **ياعلي أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لانبيّ بعدي** » [٤].

وقال الامام الرضا (عليه السلام) : **شريعة محمّد لا تنسخ الىٰ يوم القيامة، ولا نبيّ بعده الىٰ يوم القيامة** [٥].

هذه الروايات وكثير غيرها ـ كما يرىٰ القاريء العزيز ـ تدل بوضوح تام علىٰ خاتمية النبيّ (ﷺ) وخلود الإسلام . وعظمة هذا الدين وسمو مقاصده وشمول قواعده وعموميتها مما يضمن جدته علىٰ مرّ الزمان ... وهذه نعمة كبرىٰ من نعم اللّه عزوجل .

إن ديناً كهذا الدين العظيم ليجب ان يطرح علىٰ انه البديل لكل النظم والأديان ... فما أجمل أن نعمل في سبيل نشر الإسلام ليرىٰ العالم خيره العميم ...

---

١ ـ مستدرك وسائل الشيعة : ج ٢، ص ٢٦٢، باب ٤٠.

٢ ـ اصول الكافي : ج ١، ص ١٧٧ .

٣ ـ نهج البلاغة : الخطبة ١٣٣، منهاج البراعة : في شرح نهج البلاغة : ج ٨، ص ٣٠٤.

٤ ـ الكامل : ج ٢، ص ٢٧٨، ط سنة ١٣٨٥ هـ. ٥ ـ عيون أخبار الرضا : ط قم ج ٢، ص ٨٠.

حديث الغدير و
خلافة النبي (ص)

واقعة غدير خم :

السنة العاشرة للهجرة ... وهذا موسم الحج ... صحراء الحجاز تشهد جمعاً غفيراً من الحجيج وكلهم يسيرون بشعار واحد نحو هدف واحد .

هذه السنة يتميز الحج بحرارة خاصة، والمسلمون يقطعون المسافات ويجتازون المنازل بسرعة وشوق .

صوت التلبية الحار يتعالىٰ في صحراء مكة، وهذه القوافل [1] تقترب من أُم القرىٰ واحدة بعد الأُخرىٰ، وهؤلاء الحجاج بثياب الاحرام ذات اللون الواحد ... والتي علاها غبار الطريق ... وبالعيون التي اغرورقت بالدموع ... يلقون بأنفسهم في أحضان بيت اللّه الحرام طائفين حوله ... ذلك البيت المقدس الذي شيد علىٰ يد أبي الأنبياء خليل اللّه ابراهيم(عليه السلام) ... والذي جعله اللّه سبحانه أمناً لعباده في الأرض .

ويطل النبيّ (ﷺ) علىٰ المسجد الحرام يتلاطم بأمواج الحجيج ... وكلهم أخوة في اللّه إنما المؤمنون إخوة مستغرقون في العبادة والصلاة والدعاء بخضوع وخشوع كأنهم من الملائكة المكرمين .

وترىٰ في وجه النبيّ (ﷺ) علامات السرور والارتياح لهذا الانجاز العظيم ويحمد اللّه سبحانه علىٰ هذه النعمة فلقد استطاع أن يؤدي الرسالة علىٰ أكمل وجه . ولكن رغم ذلك ترىٰ في وجهه (ﷺ) هالة من

---

١ ـ يذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف : ج ٣، ص ٥٤٢ ان عدد الحجاج هذه السنة بلغ ٩٠/٠٠٠ وقد ورد في الغدير : ج ١ ص ٩ انه بلغ ١٢٤/٠٠٠ .

الحزن والأسىٰ العميق ليست وليدة الساعة بل كانت تبدو عليه منذ مدة بين الحين والآخر فتطغىٰ علىٰ بشاشته النبوية وتغتال البسمة في شفتيه المباركتين .

إنه يفكر فيما بعد موته ... ويخشىٰ علىٰ هذا التجمع أن يتبدد ... وعلىٰ روح الاخوة فيه أن تذوب ... فيرجع المسلمون القهقـري الىٰ ماكانوا عليه في الجاهلية .

إنه (ﷺ) يعلم جيداً أن امته بأمس الحاجة الىٰ قيادة امام عالم عادل يحفظ جهوده (ﷺ) من الضياع ...

نعم إن جهوده (ﷺ) التي استغرقت مايقارب ربع قرن من الزمن ... تلك الجهود الجبارة المضنية ... مهددة بالضياع إن لم تؤمن للأُمة من بعده قيادة صالحة تقود السفينة الىٰ الشاطيء المنشود .

يدلنا علىٰ ذلك أنه (ﷺ) طيلة حياته المباركة كلما أراد الخروج من المدينة ومهما تكن مدة السفر صغيرة ... كان يسلم أزمة الأُمور لشخص أمين كفوء ... ويفرض علىٰ المسلمين اطاعته وتنفيذ أوامره ... ولم يحدث ابداً انه (ﷺ) ترك المسلمين في المدينة بيد الحوادث تـتصرف بـهم كيف تشاء [١] وبناء علىٰ ذلك فكيف يمكن ان نتصور أنه (ﷺ) يترك أُمور امته بعد وفاته بيد الحوادث والأهواء .

كان النبيّ (ﷺ) يعلم ذلك جيداً وكان يعلم ايـضاً أن هـذا المـقام لمن... و من هو الذي يمكنه ذلك جيداً وكان المركز . من هو هذا الإنسان الذي له فقط حق خلافة النبيّ (ﷺ) ؟

انه ذلك الذي قال عنه النبيّ (ﷺ) بحضور عدّة من شيوخ قـريش (من أقارب النبيّ) : « **إن هذا أخي ووصـيي وخـليفتي فـيكم فـاسمعوا له وأطيعوا** » [٢] .

---

١ ـ الكامل : ج ٢ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٧٨ ـ ٢١٦ . ٢ ـ الطبري : ج ٣، ص ١١٧٣ ـ ١١٧١ .

إنه ذلك الرجل النزيه الطاهرالذي لم يشرك باللّه طرفة عين ... ولم يسجد لصنم قط .

و هو الذي خاض الحروب مضحياً بنفسه ... وفدىٰ النبيّ (ﷺ) بنفسه ليلة الهجرة ... كل ذلك لنصرة الدين ولترتفع رايته خفاقة مصونة الجانب .

علمه الفياض يستقي من معين علم رسول اللّه ... وقضاؤه الأول [١] بعد قضاء النبيّ الأعظم (ﷺ) انه المشهور والمعروف الا وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وانقضىٰ موسم الحج ... وتفرق الناس ... كل باتجاه بلده وأهله ... وفي الصحراء حدثت مفاجأة ...

منادوا النبيّ (ﷺ) يدعون المسلمين الىٰ الرجوع إليه ... فماذا حدث؟

إنه الأمين جبرائيل (عليه السلام) يرد علىٰ رسول اللّه، أبلغه قوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ اِليكَ مِنْ رَبِّكَ وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ اِنَّ اللّهَ لَايَهْدي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾ [٢] .

ولم يكن هذا الموضوع الذي يخاطب اللّه سبحانه نبيه لأجله بلهجة شديدة إلا الإعلان الرسمي لخلافة الامام علي (عليه السلام) وذلك لان النبيّ (ﷺ) كان يحاذر من ذكر ذلك لأنه كان يخشىٰ أن يكون ذلك سبباً في وقوع الخلاف والفرقة الشديدة بين المسلمين ـ فكان لابد من انتظار المناخ الملائم ... وبعد نزول هذه الآية تبين أن المناخ الملائم مهيّأ الآن ... ولذلك جمع النبيّ (ﷺ) المسلمين في صحراء الحجاز الجرداء المحرقة وفي مكان منها يدعىٰ غدير خم حتىٰ تبين لهم روح الإسلام وقوامه . ألا وهي مسألة الخلافة ...

ولم يكن الناس يعلمون لماذا صدر اليهم هذا الأمر وأي موضوع مهم

---

١ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة طبع دار الكتب الإسلامية : ج ١، ص ١٨٦ ـ ١٧٨ .

٢ ـ المائدة : ٦٧ .

استجد ... ولكن سرعان ما أعلنت صلاة الجماعة ... وبعد أداء فرض الظهر ظهر الرسول الأكرم وسط هذا الجمع الحاشد بسيماه السماوية ... وارتقىٰ المنبر الذي كان قد أعد من أقتاب الإبل ...

وخيم الصمت علىٰ صحراء الحجاز اللافحة اللاهبة ... ولكن الرسول(ﷺ) مزق هذا السكون بكلماته الخالدة :

« ... أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبيّ الا مثل نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن أدعىٰ فأجيب وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك اللّه خيراً قال : **ألستم تشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمّداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن اللّه يبعث من في القبور . قالوا : بلىٰ نشهد بذلك . قال : اللهم أشهد » .**

... ألىٰ أن قال (ﷺ) بعد أن أخذ بيد علي (عليه السلام) فرفعها حتىٰ بان بياض إبطيهما :

« أيها الناس من أولىٰ الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : **إن اللّه مولاي وأنا مولىٰ المؤمنين وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه** (يقولها ثلاث مرات و بتعبير ابن حنبل اربع مرات) ثم قال : **اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار . ألا فليبلغ الشاهد الغائب » .**

ثم لم يتفرقوا حتىٰ نزل أمين وحي اللّه بقوله :

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإسْلامَ دِيناً ﴾ [1] .

فقال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وآله : « اللّه أكبر علىٰ إكمال الدين

---

١ ـ المائدة : ٣ .

واتمام النعمة ورضىٰ الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي» طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين (عليه السلام)، وممن هنأه في مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بخٍّ بخٍّ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاى ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة [١].

رواة حديث الغدير

يتجاوز عدد رواة حديث الغدير المائة وعشرين ألفاً ... وذلك طبيعي جداً اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان المسلمين قد التزموا بقول النبيّ (ﷺ) «ألا فليبلغ الشاهد الغائب» ثم إن هذه الوقعة كانت أهم حوادث سفر الحج في تلك السنة [٢] ... ومن الطبيعي جداً أن يكثر نقلها والتحدث بها ...

ولأهميتها الخاصة كانت تثار بين الحين والآخر ... أي أنها لم تكن كسائر الحوادث العادية يدور حولها الكلام لمدة ثم يطويها النسيان ...

ذات يوم وبعد مرور خمس وعشرين سنة علىٰ هذه الحادثة العظيمة - أي في الوقت الذي كان قد توفىٰ فيه كثير من الصحابة ولم يبق منهم إلّا قلة - طلب علي (عليه السلام) في مسجد الكوفة ممن سمع حديث الغدير من النبيّ (ﷺ) ان يذكره... فنهض من بين الجالسين ثلاثون نفراً و نقلوا الحديث [٣].

وقبل موت معاوية بسنتين أي سنة ٥٨ أو ٥٩ جمع الامام الحسين (عليه السلام) في منىٰ بني هاشم والأنصار وسائر الحجاج وقال من جملة ماقال: أنشدكم اللّه أتعلمون أن رسول اللّه نصبه (أي علياً) يوم غدير خم فنادىٰ له بالولاية وقال ليبلغ الشاهد الغائب قالوا: اللهم نعم [٤].

---

١ - النص مأخوذ من الغدير ج ١، ص ١٠ - ١١.

٢ - الغدير: ج ١، ص ٦٠ - ٦١.

٣ - الغدير: ج ١ ص ١٦٦ - ١٧٤، مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ٣٧٩.

٤ - الغدير: ج ١، ص ١٩٨ - ١٩٩.

وقد أورد علماء السنة في كتبهم مائة وعشرة صحابي سمعوا حديث الغدير ونقلوه ... بالاضافة الىٰ أن عدة من العلماء المعروفين من السنة أيضاً ـ ألّفوا كتباً خاصة بهذا الحديث الشريف [١].

معنىٰ الحديث :

كل الدلائل توضح أن المقصود من كلمة « مولىٰ وولي » في الحديث، هو الخليفة والقائد للأُمة الإسلامية ولا يمكن ان تنسجم مع معنىٰ آخر ... واليك الدليل :

١ ـ علمنا مما سبق أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخشىٰ من طرح حديث الغدير ... ولم يفعل ذلك إلّا بعد أن ورد إليه الأمر الصريح وباللهجة الشديدة التي عرفت .

فهل يمكننا اذن ان نقول ان المقصود من حديث الغدير هو تذكير الناس بصداقة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) ؟...

وان كان هذا هو القصد والهدف فما هو المبرر للخشية من الافصاح بهذا ... ولماذايهدد هذا وحدة المسلمين واخوتهم ... ثم هل تستحق مسألة الصداقة بينهما صلوات اللّه عليهما ان يحشر الحجيج في بقعة من الأرض جرداء ... تكويهم الشمس من جهة... ورمضاء الهجير من جهة أُخرىٰ ... فيضطر أحدهم أن يضع طرفاً من ثوبه تحت رجليه ... والآخر فوق رأسه كما يحدثنا التأريخ ؟[٢]

٢ ـ ان النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يقول : «**من كنت مولاه فعليّ مولاه**» أخذ من المسلمين الاعتراف بأنه أولىٰ بهم من أنفسهم .

وهذا يدل بوضوح علىٰ ان الولاية التي جعلها النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

١ ـ الغدير : ج ١، ص ١٤ ـ ١٦، والبداية والنهاية : ج ٥، ص ٢٠٨ .

٢ ـ الغدير : ج ١، ص ١٠ .

لعلي(عليه السلام) هي عين الولاية التي هي له (ﷺ).

هذه الولاية ليست صداقة أو محبة بل هي ولاية عامة وقيادة مطلقة ... وان كانت تتضمن المحبة والعطف فهو (ﷺ) بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٣ ـ إنّ حسان بن ثابت قد نظم واقعة الغدير شعراً بإجازة النبيّ (ﷺ) وقد انتشر ذلك الشعر وشاع برضىٰ النبيّ (ﷺ) وعلمه... وقد ورد في شعر حسان تصريح بالخلافة والامامة ... ومع ذلك لم يعترض عليه معترض من ذلك الجمع الغفير قائلاً له إنك قد اخطأت في تفسيركلمة مولىٰ ... بل ان الجميع استحسنوا شعره و مدحوه واليك بعض شعر حسان:

فقال له قم ياعليّ فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أتباع صدق مواليا [1]

لقد فسر حسان قول النبيّ (ﷺ) بأنه نص علىٰ الامام بالخلافة ولم يعترض عليه أحد مما يدل علىٰ أن الجميع قد فهموا نفس ما فهمه حسان ومانفهمه نحن الآن.

٤ ـ إن النبيّ (ﷺ) بعد الانتهاء من الخطبة الشهيرة أمر ان تنصب خيمة ليجلس فيها الامام (عليه السلام) للتهنئة وأمر المسلمين حتىٰ نسائه هو(ﷺ) ان يهنئوه ويبايعوه ويسلموا عليه بأمرة المؤمنين [2] ومن البديهي أن هذه المراسم لا تنسجم إلّا مع الولاية والخلافة.

٥ ـ قال النبيّ (ﷺ) **هنئوني إنّ اللّه تعالىٰ خصني بالنبوة وخصّ أهل بيتي بالإمامة** [3].

وهكذا يرىٰ القاريء العزيز، أنّ هذه الشواهد توضح حديث الغدير ولا تبقي فيه أي إبهام.

---

١ ـ الغدير: ج ٢، ص ٣٤ ـ ٤١، تذكرة خواص الائمة لابن الجوزي الحنفي: ص ٢٠.

٢ ـ الغدير: ج ١، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

٣ ـ الغدير: ج ١، ص ٢٧٤.

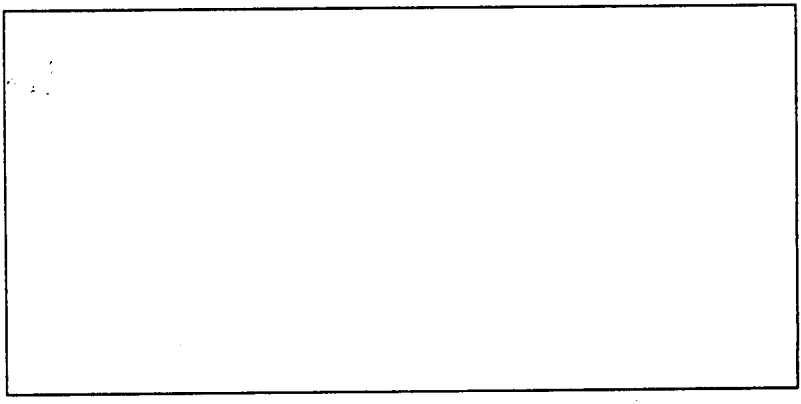

أخلاق محمّد(ص) و سلوكه

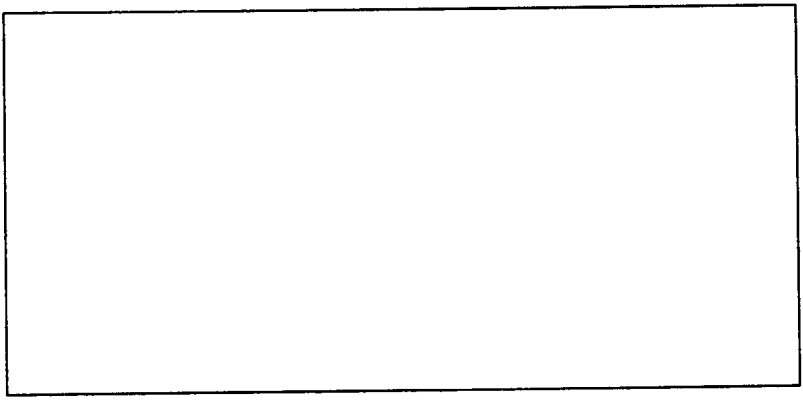

حاجة المجتمع الىٰ الأخلاق

كلما تقدم العلم وترقّت التكنولوجيا، ازدادت حاجة البشرية الىٰ الأخلاق ... ومن الضروري ان تسير القوانين الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام جنباً الىٰ جنب مع التقدم العلمي والصناعي، وذلك لأن الحضارة المعاصرة لاتقدم للإنسان سوىٰ وسائل الراحة ... والالآت علىٰ اختلاف أنواعها ... ولا تقدم أي ضمان يؤمن عدم استغلال الإنسان لهذه المخترعات والمكتشفات واستعمالها في ضرر الإنسانية .

وهذا الازدياد في إحصائيات الجرائم والجنايات والقتل والانتحار وسائر مظاهر الفساد ... إنما يوضح هذه الحقيقة ... اذا لم تكن الأخلاق - وهي جزء من رسالة الأنبياء عليهم السلام - مسيطرة علىٰ سلوك المجتمع فإن العلم والصناعة ولا يمكنهما أن يؤمنا سعادة الإنسان واستقراره .

إن المستعمرين يستخدمون العلم والصناعة لمصالحهم - لأن الأخلاق فقدت - فيرملون الملايين ويسحقون حقوق الشعوب المستضعفة ... ويمتصون دماءها وثرواتها .

إن العامل الوحيد الذي يستطيع ان يمسك بزمام غرائز الإنسان العارمة وعصيانه وتمرده العاتين ... والذي يستطيع أن يسخر العلم لصالح سعادة البشرية ... انما هو عامل الأخلاق التي تنبع من الايمان الواقعي باللّه سبحانه . وان تعاليم الأنبياء عليهم السلام الأخلاقية وسلوكهم أفضل وسيلة يمكنها

أن توصل الدنيا الىٰ حياة أمثل .

والأخلاق ضرورة الإنسان سواء في حياته الفردية أم الاجتماعية .

أما اولئك الذين يحملون مسؤوليات قيادية، فان حاجتهم الىٰ الأخلاق تصبح أكثر إلحاحاً وذلك لأن المربي والمرشد يجب أن يكون مثالاً يحتذي وقدوة في الصفات الانسانية العالية والاخلاق الكريمة حتىٰ يمكنه أن يطهر قلوب الناس من الرذائل .

بينما اذاكان ـ رغم مسؤوليته الاجتماعية ـ لا يمتلك أي رصيد أخلاقي، فإنه لن ينجح في اداء وظيفته ... وستكون توجيهاته وجهوده ذات آثار سطحية لا تلبث أن تتبدد .

وثانياً : فان مسؤولية التوجيه الاجتماعي تبلغ من الأهمية حداً لا يمكن للإنسان معه أن يتحملها بدون أن يكون ذا مستوىٰ أخلاقي رفيع ... ولأجل هذا فان اللّه سبحانه قد اختار أنبياءه يتحلون بالروحية العالية والصدر الرحب والحلم والتسامح وسائر الصفات الأخلاقية الفاضلة .

وبسلاح الأخلاق هذا استطاع الأنبياء (صلوات اللّه عليهم) ان يحطّموا الأصنام ويغيّروا الأوضاع الفاسدة المستغرقة في الفساد و يقلّبو ها رأساً علىٰ عقب ... ويحرروا عباد اللّه من قبضة الهلاك .

وحول النبيّ محمّد (ﷺ) قال تعالىٰ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِن اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [1] .

أخلاق النبيّ محمّد (ﷺ) هي التي خلقت أول أمواج التيار الإسلامي في المنطقة العربية وفي العالم كله... وفي ظل هذه الثورة

---

١ ـ سورة آل عمران : ١٥٩ .

المقدسة تحولت الفرقة الىٰ وحدة والتحلل الىٰ عفة وطهارة والعطالة الىٰ كدح وكد والأنانية الىٰ محبة والتكبر الىٰ تواضع وعطف وفي ظلها ايضاً نشأ أفرادهم نماذج أخلاقية وقدرة لمن سواهم ... ولقد كانت أخلاق النبيّ محمّد (ﷺ) من العظمة بحيث شهد اللّه سبحانه بها فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١] .

وها نحن نتناول هذه الصفة العظيمة لنتعرف علىٰ بعض جوانبها :

محمّد بين الناس :

مع أن نبينا (ﷺ) كان له مقام نبوة جليل ... وكانت له سلطة وقيادة ... فإن حياته ومعاشرته كانت عادية تماماً ويدون تجملات بحيث ان الغريب كان اذا أقبل علىٰ مجلسه (ﷺ) يضطر أن يسأل أيكم محمّد ؟[٢]

لم تغره الدنيا ولم تأسره المظاهر والاعتبارات ... ولم يقع في حبائل شباكها ... بل كان أبداً ينظر اليها بعين الزهد والتقوىٰ [٣]

كانت عباراته (ﷺ) صغيرة اللفظ قصيرته، لكنها مليئة المعنىٰ كبيرته ... لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليه إن أبىٰ ويكني أصحابه ويدعوم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع علىٰ أحد حديثه [٤] .

ولم يكن حين كلامه لامبالياً ... ولم يكن يستعمل الألفاظ القبيحة المستهجنة .

---

١ ـ سورة القلم : ٤.

٢ ـ مستفاد من أحاديث في البحار : ج ١٦، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٩ الآخوندى طهران .

٣ ـ مستفاد من أحاديث في البحار : ج ١٦، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٩ ط الآخوندي طهران .

٤ ـ كحل البصر : ص ٦٩ .

وكان « يجيب دعوة الحر والعبد ولو علىٰ ذراع أو كراع، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصدقة لايثبت بصره في وجه أحد [١].

كان اذا دخل منزلاً قعد أدنىٰ المجلس حين يدخل [٢].

لم يكن يرضىٰ أن يقف أحد عنده وقفة الذليل وكان يحترم الجميع [٣].

ولقد كان (ﷺ) يأكل علىٰ الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرفع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويُرْدف خلفه [٤].

إنه (ﷺ) لم يغضب إلّا للّه وللدين ... ولذلك أيضاً كان يفرح.

عند ركوبه لم يكن يرضىٰ بأن يرافقه أحد راجلاً.

في السفرات الجماعية ـ أي حين كان يخرج للحج أو في غزوة مثلاً ـ لم يكن يرضىٰ بأن يكون كلاً علىٰ مرافقيه ـ بل كان يقوم بنصيبه من العمل.

وقد قال (ﷺ) ... ولكني أكره أن أتميز فإن اللّه يكره من عبده أن يراه متميزاً بين اصحابه ... وقام ـ بعد ذلك ـ فجمع الحطب [٥].

كان (ﷺ) وفياً لجميع معاهداته.

يصل الرحم ولا يدافع عن رحمه بدون مبرر شرعي.

لا يسمح لأحد أن يتكلم علىٰ أحد فانه يحب أن يخرج الىٰ الناس وهو سليم الصدر [٦].

كان (ﷺ) مثالاً في التأدب والحياء.

وكان مثالاً في رحابة الصدر والحلم والتسامح.

يقول أنس بن مالك: كان لرسول اللّه (ﷺ) شربة يفطر عليها و شربة للسحر، وربما كانت واحدة وربما كانت لبناً وربما كانت الشربة خبزاً يماث

---

١ ـ البحار: ج ١٦، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨.
٢ ـ البحار: ج ١٦، ص ٢٤٠.
٣ ـ البحار: ج ١٦، ص ٢٢٩ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢.
٤ ـ نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص ٢٢٨.
٥ ـ كحل البصر: ص ٦٨.
٦ ـ البحار: ج ١٦، ص ٢٣٢ ـ ٢٢٦.

فهيّأتها له (ﷺ) ذات ليلة (فاحتبس) النبيّ (ﷺ) فظننت أن بعض أصحابه دعاه فشربتها حين احتبس فجاء بعد العشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبيّ (ﷺ) أفطر في مكان أو دعاه أحد ؟ فقال لا (الىٰ أن قال) فأصبح صائماً وما سألني عنها ولا ذكرها حتىٰ الساعة [١].

ولقد كان (ﷺ) يحب الصلاة كثيراً ولكنه عندما كان الناس يأتون إليه في حاجة ويجدونه مشتغلاً بالصلاة يخفف صلاته ثم يستمع الىٰ حوائج الناس ثم لا يدخر وسعاً في قضائها.

كان يحترم الجميع ... ومقياس الفضيلة عنده الإيمان والعمل ... ولم يكن يأبه بالثروة والجاه والمنصب ... كان عطوفاً علىٰ الرقيق مهتماً بشؤونهم وحوائجهم [٢].

تسامحه وعفوه :

لم يكن من طبعه محاولة الانتقام ممن أساء إليه ... وكان يتجاوز عن أخطاء الآخرين ... وكان يواجه أذيتهم له بالعفو والتسامح [٣].

ورغم كل الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة فإنّه عند انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عنهم [٤].

عفا عن (وحشي) قاتل عمه حمزة وكذلك فعل مع أبي سفيان وهند [٥].

ولكن مع شدة عفوه وتسامحه (ﷺ) لم يكن يقبل بأدنىٰ تجاوز لحدود اللّه ... ولم يكن لتأخذه في اللّه لومة لائم ... فعندما أخبر أن فاطمة

---

١ ـ كحل البصر : ص ٦٧ ـ ٦٨.

٢ ـ البحار : ج ١٦، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ طبعة الآخوندي.

٣ ـ البحار : ج ١٦، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

٤ ـ الكامل : ج ٢، ص ٢٥٢، ط ١٣٨٥ هـ.

٥ ـ الكامل : ج ٢، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٠.

المخزومية سرقت لم يتقبل وساطة أسامة بن زيد وقال [١] انما هلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطع محمّد يدها .

نظافته وطهارته :

كان (ﷺ) يحافظ علىٰ أن يكون بدنه وثيابه علىٰ طهارة دائماً ... وكان يتعطر بأجود انواع العطور ... حتىٰ أن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : انّ رسول اللّه كان ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام [٢] .

ومن حيث مرّ (ﷺ) كانت تفوح رائحة العطر ... [٣]

وانه (ﷺ) كان ينظر في المرآة ويرجل جمته ويمشط وربما نظر في الماء وسوّىٰ جمته فيه ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً علىٰ تجمله لأهله وقال ان اللّه يحب من عبده اذا خرج الىٰ إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل [٤]

عبادته وزهده :

لقد كان له (ﷺ) ولع شديد بالصلاة، روي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) ان رسول اللّه (ﷺ) كان اذا صلىٰ العشاء الآخرة أمر لوضوئه وسواكه يُوضع عند رأسه مخمراً فيرقد ماشاء اللّه ثم يقوم فيستاك ويتوضأ اربع ركعات ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي، إنه كان يستاك في كل مرة قام من نومه [٥] .

وكان يطيل من خضوعه وخشوعه ووقوفه بين يدي اللّه سبحانه حتىٰ

---

١ ـ ارشاد الساري : ج ٩، ص ٤٥٦ .
٢ ـ وسائل الشيعة : ج ١، ص ٤٤٣ .
٣ ـ سفينة البحار : ج ١، ص ٤١٩ .
٤ ـ وسائل الشيعة : ج ٣، ص ٣٤٤ .
٥ ـ وسائل الشيعة : ج ١، ص ٣٥٦ .

تورّمت قدماه المباركتان [١].

وكان (ﷺ) كثير التأمل شديد الاعتبار بما حوله من الأرض والسماء والشمس وغير ذلك، وكان أكثر ما يفكر فيه هو عظمة الخالق ... وأما زهده فكان من العظمة بحيث أن مظاهر الدنيا الخلابة لم تفتنه ولم تشدّده إليها.

لقد كان محمّد (ﷺ) قدوة في الصفات الأخلاقية الفاضلة ...

وطبيعي أنه لا يمكننا أن نوفّيها حقها من البحث في مقالة مختصرة ... كلما يمكننا فعله هو أن نعطي صورة ما عن الصورة الواقعية الأصيلة المشرقة حتىٰ يعلم المسلمون شيئاً عن أفعال وسلوك نبيهم العظيم ويضعون ذلك نصب أعينهم ومثالاً حيالهم، قال تعالىٰ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [٢].

فعليه سلام اللّه فإنه أول خلق اللّه وأفضلهم ... وسلام الملائكة والصالحين والمقربين ... وسلام احترام منّا ومنك أيها القاريء الكريم.

---

١ ـ كحل البصر: ص ٧٨.

٢ ـ الأحزاب: الآية ٢١.

مسألة الخلافه
و خلافة النبى (ص)

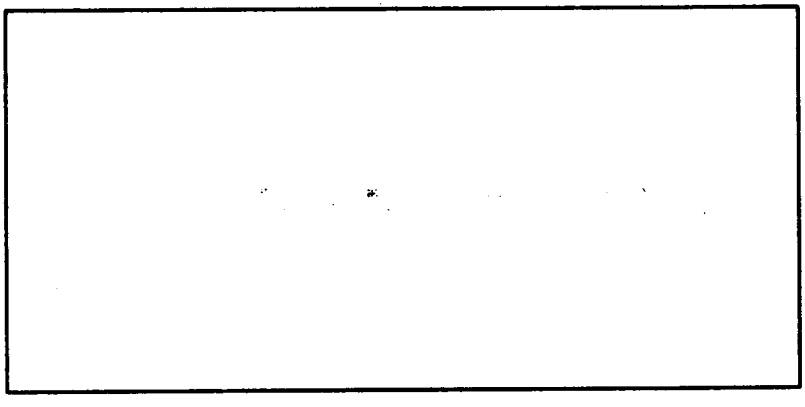

الحاجة الىٰ القيادة :

تدرك جميع المجتمعات البشرية مدىٰ الحاجة الىٰ الرئاسة والقيادة التي تتكفل بتحريك عجلة المجتمع ولهذا فانه بمجرد أن يموت قائد فعلي يدرك الكل ضرورة قيام آخر مقامه ... وليس من المعقول أن يبقىٰ الوضع فوضوياً وبدون رئيس معين . وذلك لأنه لن يعود علىٰ عرىٰ المجتمع الاّ بالتحلل والانفصام .

والمجتمع الإسلامي واحد من هذه التجمعات البشرية، وقد أدرك هذه الضرورة وهو يعي أنه لابدّ بعد وفاة النبيّ (ﷺ) من قائد يكمل مسيرته ... وعلىٰ هذا ا لقائد يتوقف بقاء الإسلام والمسلمين .

ولكن بما أن الحاجة الىٰ القيادة ذات دوافع متعدّدة فقد تعددت آراء المسلمين حول خصوصيات القائد : فمنهم من يرىٰ أن الغاية من وجود الحاكم تشكيل الجهاز الحكومي وحفظ هيبة الحكم ... ولذلك فان الخليفة ينتخب انتخاباً من قبل المسلمين .

ويقابل هذا الرأي رأي مدرسة آل البيت عليهم السلام وأتباعهم فهم اعتماداً علىٰ براهين علمية وفلسفية وآيات قرآنية وروايات كثيرة، واعتماداً علىٰ رؤية للموضوع أدق وأبعد مدىٰ يقررون :

ان الدافع لوجود الخليفة المسلم هو التكامل الانساني من شتىٰ

الجوانب ... بمعنىٰ أن الخليفة عليه ان يكمل المسيرة التي بدأها النبيّ(ﷺ) في هداية البشر وإرشادهم وتكاملهم المطلق .

وبناء علىٰ هذا فان القائد الذي يستطيع أن يقوم بهذه الرسالة يجب ان يكون معيناً من قبل اللّه سبحانه ... ويجب أن يكون كالنبي (ﷺ) من حيث قدرته علىٰ تعيين مشاكل الأُمة وتشخيصها ووصف العلاج الناجح لها ... وعلاجها انما يكون بالأحكام الإلهية الواقعية ... لأن هذه الاحكام هي وحدها التي يمكنها تأمين السعادة البشرية، وذلك لأنها من اللّه سبحانه واللّه يعلم نوازع النفس البشرية ومتطلباتها ... والقوانين التي تسعدها .

هذا هو الدافع الواقعي للحاجة الىٰ القائد ... وليس الدافع ما تقوله تلك النظرة السطحية من أنه عبارة عن تشكيل الجهاز الحاكم وحفظ هيبة الحكم ...

وسنحاول هنا أن نتاول نظرة آل البيت وشيعتهم بشيء من التفصيل:
إن سبب الحاجة الىٰ خليفة النبيّ (ﷺ) هو نفس سبب الحاجة الىٰ نفسه، أو إن الخلافة تتمم ذلك الأصل الذّى ثبتت ضرورته وهو عبارة عن الهداية العامة، أي ان كل مخلوق من المخلوقات قد أمنت له الوسائل التي بواسطتها يبلغ درجة الكمال ... ولكنه يحتاج فقط الىٰ الهداية كي لا ينحرف .

وطبيعي أن العقل لا يستطيع أن يؤمن له ذلك لأن رؤية العقل محدودة ... بالاضافة الىٰ أن الفكر البشري معرض للاشتباه والانحراف الفكري والعاطفي ... ولا يستطيع أن يقدم القوانين والتشريعات السّليمة، والمثمرة ... ولذلك كان ولابد من بعث الأنبياء عليهم السلام لأنهم بواسطة الوحي من اللّه سبحانه يمكنهم أن يقوموا بهذه المهمة وبدون ان يقعوا في أي

خطأ مهما كان صغيراً ...

ومن البديهي أنّ هذا الدليل كما يثبت ضرورة وجود النبيّ (ﷺ) بين الناس يثبت ايضاً ضرورة وجود الإمام المعصوم الخليفة حتىٰ يبقىٰ عقد الرسالة نضيداً بوجود القائد الكفوء الذي يقدم للناس رسالة السماء علىٰ أتم وجه ... ويقودهم الىٰ مراتب الكمال بفعله وسلوكه المثالي ...

نعم ... ان هذا الدليل يثبت ايضاً من ضرورة وجود الامام المعصوم لأنه بدون ذلك لا يمكن للإنسان ان يستفيد من القدرات المخبئة فيه والتي وهبها اللّه سبحانه وتعالىٰ له ليبلغ بها درجة الكمال. ومعنىٰ ذلك أن وجود هذه القدرات في الإنسان سيكون عبثاً ولغواً ... وهذا لايصدر من اللّه سبحانه ... لأنه ليس من المعقول أن يودع في الإنسان قدرات لا حاجة له بها.

يقول الحكيم الإسلامي ابن سينا (في كتاب الشفا) [1]:

« ... فالحاجة الىٰ هذا الإنسان (اي النبيّ أو الولي) في ان يبقىٰ نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة الىٰ إنبات الشعر علىٰ الأشفار وعلىٰ الحاجبين وتقعير الاخمص من القدمين واشياء اخرىٰ من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء، بل اكثر مالها انها تنفع في البقاء ووجود الإنسان الصالح لأن يسن ويعدل ممكن كما سلف منّا ذكره فلا يجوز ان تكون العناية الأولىٰ تقضي تلك المنافع ولا تقضي هذه التي هي أسها الخ.

وهذا هو الدليل الذي يوضح جيداً ان خليفة النبيّ (ﷺ) يجب ان يكون منصوباً ومعيناً من قبل اللّه سبحانه ومعصوماً منزهاً عن المعاصي والأخطاء ...

لان الخليفة ان لم يكن كذلك فهو معرض للوقوع في الخطأ كثيراً ... الىٰ

---

١ ـ الشفاء الالهيات: ج ٢، ص ٤٤١ ط ١٣٨٠ هـ.

جانب مجهولاته اللامحدودة ... وفي النتيجة فلن يكون باستطاعته ان يدرك اسرار السعادة البشرية المتكاملة ولا ان يقدم الدين الواقعي الصحيح للناس حتىٰ يسعدوا بتطبيقه والالتزام به ويصلوا الىٰ درجة الكمال [١].

ولذلك فقد أوجب اللّه سبحانه علىٰ المسلمين اطاعة واتباع الذين نصبهم هو وعينهم لهذا المركز ... قال تعالىٰ :

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولي الأَمرِ مِنكُم﴾ [٢].

من البديهي ان المقصود من « أولى الأمر » الذين أوجب اللّه طاعتهم كما أوجب طاعة الرسول وأمر باتباعهم في جميع الأشياء والأحوال هم . الأئمة المعصومون الذين عيّنهم اللّه سبحانه لخلافة النبيّ (ﷺ) الائمة المنزهون عن الخطأ وعن الأغراض الشخصية، والذين يقومون بهداية البشر الىٰ حقائق الأمور. وليس المقصود أبداً أصحاب الأهواء الذين تجد في أقوالهم وأفعالهم آلاف الأخطاء والذين لا يمكن أن تصل البشرية باتباعهم الىٰ التكامل المنشود [٣].

هل عيّن النبيّ الأكرم خليفته ؟

كان النبيّ الأكرم يفدي الإسلام العظيم بنفسه ... وكان يعلم أكثر من كل من عداه ان الإسلام الواقعي يجب أن يبقىٰ في العالم الانساني محفوظاً مصاناً ... فهل يمكن مع هذا أن نتصور أنه (ﷺ) التحق بالرفيق الأعلىٰ

---

١ ـ للتوضيح اكثر يراجع كتاب (الشيعة في الإسلام) .

٢ ـ سورة النساء : الآية ٥٩ .

٣ ـ للتوضيح أكثر يراجع تفسير الميزان : ج ٤، ص ٤٢٧ ـ ٤١٢ .

دون أن يبين للمسلمين خليفته من بعده .

لقد أولىٰ النبيّ (ﷺ) من بداية مبعثه الشريف أهمية كبيرة لهذا الموضوع ... وقد نص علىٰ خليفته بشكل واضح في موارد مختلفة . إن كل من يفكر في أقواله (ﷺ) في هذا الموضوع جيداً يرىٰ أن المقصود فيها ليس الاّ علياً وآل البيت عليهم السلام، ولم يكن المراد أبداً أحدٌ سواهم . وها نحن نقدم نماذج من أقواله (ﷺ) في هذا المضمار :

١ ـ قال النبيّ (ﷺ) لعلي (عليه السلام) « أنتَ وَليِّي فِي الدّنيا وَالآخِرَة » [١] .

٢ ـ نقل علماء الشيعة والسنة أن النبيّ (ﷺ) صرح في الملأ العام عدة مرّات قائلاً :

« إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب اللّه عزوجل وعترتي ... » [٢] .

والمقصود بالعترة أهل بيته (ﷺ) علي وأولاده المعصومون عليهم السلام لأن النبيّ (ﷺ) نص عليهم ولأنهم هم المنزهون عن الخطأ وهم الذين لم يكن اتباعهم يؤدي الىٰ الضلال .

٣ ـ يقول أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي أن النبيّ (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام) :

« انت وليي في كل مؤمن بعدي » [٣] .

٤ ـ ذكر العلماء، شيعة وسنة، إن النبيّ (ﷺ) في آخر سنة من حياته الشريفة وبعد أداء فريضة الحج وقف بين عشرات الألوف من المسلمين

---

١ ـ مسند أحمد بن حنبل : ج ١، ص ٣٣١ .

٢ ـ مسند أحمد بن حنبل : ج ٣، ص ١٧، وص ٥٩، وورد في كتاب غاية المرام ٣٩ حديثاً بهذا المضمون عن طريق السنة و ٨٢ عن طريق الشيعة ص ٢١١ ـ ٢٣٥ .

٣ ـ مسند أحمد بن حنبل : ج ١، ص ٣٣١ .

وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه[١] .

٥ ـ هناك روايات كثيرة عن النبيّ الأعظم (ﷺ) يصرّح فيها بأن خلفاءه من قريش وأنهم اثنا عشر خليفة ...[٢] حتىٰ أنه ورد في بعض الروايات بيان خصوصيات الائمة الأطهار عليهم السلام وأسماؤهم[٣] .

هذه النماذج التي صدر بعضها عن النبيّ (ﷺ) في آخر سنة من عمره المبارك ... توضح جيداً من وكيف هو الشخص الذي يجب أن يتولىٰ زمام أمور المسلمين بعد النبيّ (ﷺ) .

الشورىٰ في الخلافة :

يعتقد فريق من الكتّاب أن الخلافة يمكن أن تتم عن طريق الشورىٰ وأكثرية الآراء ... وقد استشهدوا لهذه بعدّة آيات من القرآن الكريم ورد فيها الامر بالمشاورة واعتبروا أن الانتخاب أحد الاسس الاجتماعية والسياسية في الإسلام غافلين عن :

١ ـ إن الامامة متممة للأصل الاساسي للنبوة، وكما أن النبوة تعيينية وليست انتخابيةفكذلك الإمامة التى هي خلافة ذلك المقام النبوي .

٢ ـ انما تكون الشورىٰ حيث لم يعين التكليف والحكم من اللّه سبحانه، وكما تقدم فإن النبيّ (ﷺ) طبقاً للروايات الصريحة قد عيّن خليفته، فلم يبق مجال للشورىٰ أبداً .

٣ ـ لنفترض أن الشورىٰ في هذا الأمر صحيحة ... حينئذ لاشك في ان النبيّ (ﷺ) يبين شرائط الناصب والمنتخب بشكل واضح حتىٰ يكون

---

١ ـ هذا الحديث من الاحاديث القطعية وقد ألفت حوله كتب ضخمة ـ للتوضيح اكثر راجع الغدير : ج ١، ص ١٠ ـ ١١ .

٢ ـ صحيح مسلم : ج ٦، ص ٣ .

٣ ـ منتخب الأثر : ص ١٠ ـ ١٤١ وغيره .

الناس علىٰ بصيرة تامة من أمر هذه المسألة التي يتوقف عليها بقاء المجتمع الإسلامي وبقاء الدين المقدس ... ولكنّا نرىٰ أنه (ﷺ) لم يقل شيئاً حول هذا بل قال العكس، فحينما أسلم بنو عامر علىٰ يديه (ﷺ) قال له أحدهم :

أرأيت ان نحن بايعناك علىٰ أمرك ثم أظهرك اللّه علىٰ من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر الىٰ اللّه يضعه حيث يشاء [١] .

وعلىٰ اساس هذه الروايات ـ وغيرها ـ يعتقد الشيعة أنّ خلفاء رسول اللّه الذين نص عليهم هو صلوات اللّه عليهم كلهم معيّنون من قبل اللّه سبحانه ... ويرون أن عليهم أن يرجعوا الىٰ هؤلاء الخلفاء والائمة الطاهرين في جميع أمور حياتهم ... وأن يتلقّوا منهم تعاليم دينهم الواقعي الذي لم تنله يد التحريف .

ولحسن الحظ إن هذا الاعتقاد قد أتاح لنا الاستفادة من علم آل بيت النبيّ (صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم) وجمع الذخائر والكنوز من الحقائق والمعارف التي يمكنها أن تضع الجواب لجميع مسائل الحياة في مختلف النواحي ... ولهذا كان مذهب التشيّع مذهب آل البيت ... أغنىٰ المذاهب الإسلامية وأثراها .

---

١ ـ السيرة لابن هشام : ج ١، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ . طبعة سنة ١٣٧٥ هجرية .